محاضـرات
فـي
تفسير القرآن الكريم
(نصوص مختارة)

إعداد

الدكتور ماهـر عيد على إبراهيم

الفرقة الثالثة عام لغة عربية

مادة دراسات إسلامية

العام الجامعي2022- 2023

رؤية الكلية

كلية التربية بالغردقة مؤسسة رائدة محليا ودوليا في مجالات التعليم والبحث العلمي وخدمة المجتمع بما يؤهلها للمافسة على المستوى المحلي والإقليمي والعالمي.

رسالة الكلية

تلتزم كلية التربية بالغردقة بإعداد المعلم أكاديميا ومهنيا وثقافيا، من خلال برامجها المتميزة بما يؤهله للمنافسة والتميز في مجتمع المعرفة والتكنولوجيا، ومواجهة متطلبات سوق العمل محليا وإقليميا، وتهتم بتطوير مهارات الباحثين بما يحقق التنمية المستدامة وتوفير خدمات تربوية لتحقيق الشراكة بين الكلية والمجتمع

مقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام علي أشرف الأنبياء وامام المرسلين سيدنا محمد وعلي آله وصحبه وسلم.

اما بعد

فهذه عدة محاضرات قمت بإعدادها لتدريسها لطلاب الفرقة الثالثة أساسي عربي في مادة التفسير. واشتملت على عدة فصول.

الفصل الأول: الصفات الخبرية في القرآن الكريم.

الفصل الثاني: وصايا لقمان في القرآن الكريم.

الفصل الثالث: تفسير سورة فاطر.

الفصل الرابع: الفاظ العدل في القرآن الكريم.

والله الموفق

الفصل الأول
الصفات الخبرية
عند أشهر علماء التفسير والفرق الكلامية

إعداد

أ.د/ ماهر عيد على

كلية الآداب بقنا - جامعة جنوب الوادى

الحمد الله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبة وسلم أما بعد ،

فإن الله عز وجل – اتصف بصفات الكمال والجمال والجلال ، فاتصف بالقدرة والإرادة والعلم والسمع والبصر والمخالفة للحوادث ، وكلها صفات كمال تليق بذاته المقدسة ، وقد جاء فى القرآن الكريم صفات خبرية تفيد أن الله أستوي على عرشه ، وأن له وجهاً وعينا ويداً ومجيئاً ونزولاً ، وأن المؤمنين يرونه يوم القيامة .

وكان منهج السلف الصالح رضوان الله عليهم واضحاً وهو الإيمان بهذه الصفات كما جاءت فى القرآن والسنة بلا تشبيه ولا تمثيل ولا تأويل ولا تعطيل ودليلهم قوله تعالى" **لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ** "[1].

وقال نعيم بن حماد : من شبه الله بشيء من خلقه فقد كفر ومن أنكر ما وصف الله به نفسه فقد كفر وليس فيما وصف الله نفسه ولا رسوله تشبيه .

قال الإمام أبو حنيفة رحمه الله لا يشبه شيئا من خلقه ولا يشبهه شى من خلقه وصفاته كلها خلاف صفات المخلوقين ، يعلم كعلمنا ، ويقدر لا كقدرتنا ، ويرى لا كرؤيتنا [2].

ونقوم بمشيئة الله وعونه بدراسة الصفات الخبرية عند علماء التفسير والفرق الكلامية الأخرى . فنوضح آراء العلماء فى صفة الاستواء ، والوجه والعين واليد ، والمجيىء والنزول والمعية ورؤية المؤمنين ربهم فى يوم القيامة ونورد توضيح ذلك فيما يلى:-

---

[1] سورة الشورى آية (11) .

[2] شرح العقيدة الطحاوية لابن أبى العز الحنفى صـ117 – 118 ط1988 المكتب الإسلامى .

الاستواء عل العرش:

يطلق الاستواء فى اللغة على عدة دلائل بمعنى اعتدل تقول سوى الرجل سوى . استقام . وسوى الشيء شد : قومه و عدله ، استوى : استقام واعتدل . استوى من ملك ، واستوى . أقبل تقول العرب : أستوي إلى يخاصمنى : أقبل إلي[1] .

أما مفهوم الاستواء عند العلماء.

فعرفه الإمام على . – كرم الله وجهه – فقال : الاستواء غير مجهول والتكييف غير معقول والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة[2] وقالت أم سلمه –رضى الله عنها– : الكيف غير معقول والاستواء غير مجهول والإقرار به من الإيمان والجحود به كفر .

وجاء رجل إلى الإمام مالك بن أنس فقال : يا أبا عبد الله " **الرَّحْمَنُ عَلَى العَرْشِ اسْتَوَى** "[3] كيف أستوى ؟ فقال الكيف غير معقول والاستواء منه غير مجهول والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة [4].

وإذا ألقينا الضوء على آراء علماء التفسير والعقيدة عند تفسير قوله تعالى: " **الرَّحْمَنُ عَلَى العَرْشِ اسْتَوَى** "[5] نجد أنهم اختلفوا فى معنى الاستواء إلى عدة آراء.

الرأى الأول

ذهب البعض من علماء التفسير إلى وجوب الإيمان بالاستواء وتفويض حقيقته إلى الله – عز وجل – فنرى الإمام اين الجوزى يقول : أجمع السلف على ألا يزيدوا على قراءة الآية[6].

و يقول الشيخ محمد على الصابونى : الرحمن : استوى على عرشه استواء يليق بجلاله من غير تجسيم ولا تشبيه ولا تعطيل ولا تمثيل[7].

---

(1) لسان العرب : جمال الدين ابن منظور جـ14 / 414 ط دار الفكر ، القاموس المحيط صـ127 الريان 1987 المعجم الوجيز ص 330 ط1999 .

(2) تفسير النسفى مدارك التنزيل وحقائق التأويل للإمام عبد الله بن أحمد بن محمود النسفى جـ54/2، 55 ط دار الكتب العلمية .

(3) أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للإمام أبى القاسم هبه الله بن الحسن بن منصور الطبرى اللالكائى جـ2 / 397 ، 398 .

(4) سورة طه آية (115) .

(5) زاد المسير فى علم التفسير للإمام أبى الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن على محمد الجوزى القرشى البغدادى جـ212/3 – 213 ط1994 المكتب الإسلامى .

(6) صفوة التفاسير لمحمد بن على الصابونى جـ230/2 – دار الصابونى .

(7) تفسير النسفى جـ54/2 – 54 .

ويقول الإمام النسفي : والمذهب قول على رضي الله عنه الاستواء غير مجهول والتكييف غير معقول والإيمان يسه واجب والسؤال عنه بدعة[1].

الرأى الثانى :

و ذهب إلى التأويل : فمنهم من أول الاستواء بالاستيلاء وإلى هذا ذهب علماء المعتزلة وبعض الأشاعرة والماتريدى والجهمية فيقول الإمام الزمخشرى وهو معتزلي عند تفسير قوله تعالى" **الرَّحْمَنُ عَلَى العَرْشِ اسْتَوَى** "[2] لما كان الاستواء على العرش وهو سرير الملك مما يرادف الملك جعلوه كناية عن الملك فقالوا أستوى فلان على العرش يريدون ملك وإن لم يقعد على السرير البتة : وقالوه أيضاً لشهرته في ذلك المعنى ومساواته ملك في مؤداه وإن كان أشرح وأبسط وأدل على صورة الأمر[3].

تفسير الاستواء بالاستيلاء مردود عند بعض أهل السنة من عدة وجوه.

الوجه الأول : إن الاستيلاء معناه الغلبة بعد العجز وذلك محال فى حق الله تعالى.

الوجه الثانى: إنما يقال فلان استوى على كذا إذا كان له منازع ينازعه وكان المستولى عليه موجودا قبل ذلك. وهذا فى حق الله تعالى محال.

الوجه الثالث: أن الاستيلاء حاصل على كل المخلوقات فلا يبقى لتخصيص العرش بالذكر فائدة[4] وقد أول الإمام الرازى الاستواء بالاقتدار[5] .

وهناك رأى باطل يقول " إن الله – عز وجل – مماس للعرش وهؤلاء هم المشبهة الذين يشبهون الله بخلقه[6] " .

والرأى الراجح فى هذه المسألة ما ذهب إليه السلف الصالح من وجوب الإيمان بصفة الاستواء بلا تكييف ولا تشبيه ولا تمثيل ولا تأويل . وهذا ما ذهب إليه سلفنا الصالح من الصحابة والتابعين . . رضوان الله عليهم .

---

(1) تفسير الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل فى وجوه التأويل لأبى القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشرى الخوارزمى جـ530/2 ط دار المعرفة .

(2) تفسير النسفى جـ2 / 54 – 55 .

(3) تفسير الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل فى وجوه التأويل لأبى القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشرى الخوارزمى جـ530/2 ط دار المعرفة .

(4) تفسير الفخر الرازى المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب جـ7/22 ط الأولى – دار الفكر العربى .

(5) المرجع السابق جـ7/22 ، التفسير الكبير للإمام تقى الدين ابن تيمية جـ109/6 ، 110 ط دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان .

(6) الممل والنحل لأبى الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستانى جـ117/1 المكتبة التوفيقة .

الوجـــــــــــه

ورد ذكـــر وجـــه الله – تبـــارك وتعـــالى– فـــى عـــدة آيـــات كثيـــرة نـــذكر منهـــا قوله تعالى : فى شأن التوجه إلى القبلة فى أداء الصلاة " **فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ**"[1] .

وقوله تعالى" **كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلاَّ وَجْهَهُ لَهُ الحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ** "[2] .

وقوله تعالى" **كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الجَلالِ وَالإِكْرَامِ**"[3].

وانقسم علماء التفسير فى معنى الوجه على ثلاثة آراء :

الرأى الأول:– يرى أن الوجه معناه معلوم ولكن كيفيته مجهولة ، ولا نعلم كيف وجهه – عز وجل – كسائر صفاته ولكننا نؤمن بأن له وجها موصوفا بالجلال والإكرام وموصوفا بالبهاء والعظمة والنور[4].

وهذا منهج السلف الصالح وكانوا يقولون إن البشر لا يعلمون لله حداً وأنهم لا يحدون شيئاً من صفاته .

وقال أبو داود الطيالسى: كان سفيان الثورى وشعبة وحماد بن زيد وحماد بن سلمة ، لا يحصدون ولا يشبهون ولا يمثلون ويروون الحديث ولا يقولون كيف؟ وقال الإمام أبو حنيفة – رحمه الله – له يد و وجه ونفسى كما ذكر تعالى فى القرآن من ذكر اليد والوجه والنفس ، فهو صفة بلا كيف ، ولا يقال : إن يده قدرت ونعمته لأن فيه إبطال الصفة. [5]

كما أن السلف الصالح توقفوا عن التأويل وقالوا : عرفنا بمقتضى العقل أن الله تعالى " : ليس كمثله شى "، فلا يشبهه شى من المخلوقات ولا يشبه شيئاً منها ، وقطعنا بذلك إلأ إنا لا نعرف معنى اللفظ الوارد فيه ، مثل قوله تعالى"**الرَّحْمَنُ عَلَى العَرْشِ اسْتَوَى**" [6]، "**خَلَقْتُ بِيَدَيَّ** [7]"،"**وَجَاءَ رَبُّكَ** [8]"، فلسنا مكلفين بمعرفة تفسير هذه الآيات وتأويلها بل التكليف ورد بالاعتقاد بأنه بأنه لا شريك له وليس كمثله شى وقد أثبتناه يقينا ".

---

(1) سورة البقرة آية (115) .

(2) سورة القصص آية (88) .

(3) سورة الرحمن آية (27) .

(4) شرح العقيدة الوسطية بن صالح العثيمين ص 174 ط دار الدعوة .

(5) شرح العقيدة الطحاوية ص 218 – 219 .

(6) سورة طه آية (5) .

(7) سورة ص آية (75) .

(8) سورة الفجر آية (22) .

الرأى الثانى : يرى أن المراد من وجه الله تعالى ذاته وإلى هذا ذهب بعضى جمهور المفسرين فيقول الإمام الزمخشرى عند تفسير قوله تعالى" **كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلاَّ وَجْهَهُ** [1]" إن المراد من الوجه ذاته[2].

ويقول الإمام ابن كثير – رحمه الله تعالى: "إن كل الذوات فائية وزائلة إلأ ذاته تعالى ،فإنه الأول والآخر الذى قبل كل شيئا وبعد كل[3] .

ويقول الإمام النسفى : إن المراد من الوجه ذاته[4].

الرأى الثالث المشبهة قالوا: إن معبودهم على صورة ذات أعضاء وأبعاض ، ويجوز عليه الانتقال والنزول والصعود والاستقرار والتمكن[5] ولا نقول أمام هذا الخطأ الظاهر والواضح إلا قوله قوله سبحانه وتعالى سبحان وتعالى:"**سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ** [6]" واختلف المفسرون فى فى تفسير قوله تعالى :"**فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ** [7]"

ذهب جمهور المفسرين إلى أن المراد من وجه الله هنا أى جهته التى أمر بها ورضيها . والمعني : أنكم إذا منعتم أن تصلوا فى المسجد الحرام وفى بيت المقدس فقد جعلت لكم الأرض مسجداً فصلوا فى أى بقعة شئتم من بقاعها ، وفعلوا التولية فيها فإن التولية ممكنة فى كل مكان لا يختص إمكانه فى مسجد دون مسجد و لا فى مكان دون مكان[8].

وقال ابن عمر نزلت فى صلاة المسافر على الراحلة أينما توجهت ، وقال عطاء عميت القبلة على قوم فصلوا فى أنحاء مختلفة ، فلما أصبحوا تبينوا خطأهم فعذروا . وقال ابن عباس قبلة الله أينما توجهت شرقا أو غرباً[9]وقال بعض العلماء أن المراد بالوجه هنا وجه الله الحقيقى. والمراد إلى أى جهة تتوجهون ، فثم وجه الله سبحانه وتعالى ، لأن الله محيط بكل شى . وهذا الوجه العظيم الموصوفا بالجلال والإكرام وجه لا يمكن الإحاطة به وصفاً ولا تصورا[10].

---

(1) الممل والنحل جـ104/1 .

(2) تفسير الكشاف جـ46/4 .

(3) تفسير ابن كثير جـ389/3 .

(4) تفسير النسفى 630/2 ، صفوة التفاسير جـ296/3 .

(5) الممل والنحل جـ117/1 .

(6) الصفات آية (180–182) .

(7) سورة البقرة آية (115) .

(8) الكشاف للزمخشرى جـ307/1 ، النسفى جـ77/1 .

(9) تفسير ابن كثير جـ77/1 ، صفوة التفاسير محمد على الصابونى جـ89/1 .

(10) شرح العقيدة الوسطية محمد بن صالح العثيمين ص 177 – 178 .

واستدل أنصار هذا الرأى ، أخرجه الإمام البخارى فى صحيحة عن أنس أن النبى – صلى الله عليه وسلم – رأى نخامة فى القبلة فشق ذلك عليه –صلى الله عليه وسلم – حتي رؤى فى وجهه ، فقام فحكه بيده . فقال إن أحدكم إذا قام فى صلاته فإنه يناجى ربه أو إن ربه بينه وبين القبلة فلا يزقن أحدكم قبل قبلته ولكن عن يساره أو تحت قدميه ، ثم أخذ طرف ردائه فبصق فيه ثم رد بعضه على بعض فقال أو يفعل هكذا[1] وعن عبد الله بن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى بصاقاً فى جدارة القبلة فحكه ثم أقبل على الناس فقال : إذا كان أحدكم يصلى فى يبصق قبل وجهه فان الله قبل وجهه لذا صلى.

وقال الخطابى : معناه أن توجهه إلى القبلة مفضل بالقصد إلى ربه فصار فى التقدير : فان مقصوده بينه و بين قبلته " وقيل هو على حذف مضاف أى عظمة الله أو ثواب الله . وقال ابن عبد البر : هو كلام خرج على التعظيم لشأن القبلة"[2] .

والرأى الراجح إننا نؤمن بما أثبته الله – عز وجل – فى كتابه من الصفات بلا كيفية ولا تمثيل ولا تأويل ويكون نصب أعيننا قوله تعالى: " **لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ** [3]".

العيـــــن

وردت صفة العين فى آيات كثيرة من القرآن الكريم مثل قوله تعالى:"**وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا** [4]" وقوله تعالى :" **وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي** [5]" وقوله تعالى : " **تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا** [6]"

وانقسم علماء التفسير فى معنى العين إلى ثلاثة آراء : –

الرأى الأول : وهو رأى أهل السنة والجماعة فيرون إثبات صفة العين كما جاءت فى القرآن الكريم والسنة بلا تشبيه ولا تمثيل ولا تأويل[7].

الرأي الثانى: يرى جمهور المفسرين أن المراد من العين الرؤيا وإلى هذا ذهب ابن كثير والنسفى والزمخشرى والرازى . فيقول الامام ابن كثير عند تفسير قوله تعالى: " **تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا** " أى بمرآى منا و تحت حفظنا[1].

---

(1) فتح البارى بشرح صحيح البخارى لبن حجر العسقلانى "كتاب الصلاة باب حك البزاق من المسجد" جـ66/3 .

(2) المرجع السابق جـ66/3.

(3) سورة الشورى آية (11) .

(4) سورة طه آية (39) .

(5) سورة الطور آية (48) .

(6) سورة القمر آية (14) .

(7) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائى جـ412/2 .

ويقول الإمام النسفى : "بمرأى منا أو بحفظنا[2]" ويقول الإمام الطبرى عند تفسير قوله تعالى: " **فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا**" يقول جل ثناؤه فإنك بمرآى منا نراك ونرى عملك ونحن نحوطك ونحفظك فلا يصل إليك من أرادك بسوء من المشركين[3].

ويقول الإمام الزمخشرى عند تفسير قوله تعالى:"**وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي** " أي تربى ويحسن إليك وأنا مراعيك وراقبك كما يراعى الرجل الشيء بعينيه إذا اعتنى به.

كما تقول للصانع اصنع هذا على عينى أنظر إليك لئلا تخالف به عن مرادى وبغيتى[4] .

<u>الرأى الثالث</u>: رأى المشبهة الذين شبهوا صفاته – عز وجل – بصفات خلقه . فقالوا : إن عينه كسائر الأعين . واستدلوا على ذلك بما أخرجه الإمام البخارى فى صحيحة . عن عبد الله قال : ذكر الدجال عند النبى صلى الله عليه وسلم فقال : إن الله لا يخفى عليكم وإن الله ليس بأعور ،وأشار بيده إلى عينه . وإن المسيح أعور عين اليمنى ، كأن عينه عنبة طافية[5]".

وقال قتادة : سمعت أنسا – رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه سلم قال : ما بعث الله من نبى إلا أنذر قومه الأعور الكذاب إنه أعور وإن ربكم ليس باعور مكتوب بين عينيه كافر[6]".

ورد على المشبهة باستحالة الجسمية عليه سبحانه وتعالى لأن الجسم حادث وهو قديم فدل على أن المراد نفى النقص عنه.

وقال ابن المنير وجه الاستدلال على إثبات العين لله من حديث الدجال من قوله إن الله ليس بأعور من جهة أن العور عرفا عدم العين وضد العور ثبوت العين فلما نزعت هذه النقيصة لزم ثبوت الكمال بضدها وهو وجود العين وهذا على سبيل التمثيل والتقريب لفهم لا على معنى إثبات الجارحة[7].

---

(1) تفسير ابن كثير جـ266/4 .

(2) تفسير النسفى جـ622/2 ، الفخر الرازى جـ274/27 .

(3) تفسير جامع البيان فى تفسير القرآن لأبى جعفر محمد بن جرير الطبرى جـ2/27 دار المعرفة .

(4) الكشاف للزمخشرى جـ536/2 ، 537 .

(5) أخرجه البخارى 97 كتاب التوحيد ، 7 باب قوله تعالى : "

(6) ولتصنع على عينى جـ13 ، 389 .

(7) فتح البارى بشرح صحيح البخارى لابن حجر العسقلانى جـ 390/13 .

والراجح ما ذهب إليه أهل السنة والجماعة من إثبات صفة العين لله – عز وجل – كما أثبتها الله تعالى فى كتابه وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم – بلا تشبيه ولا تأويل ولا تمثيل وهذا أسلم الآراء وأصوبها.

اليـــد

ورد ذكر اليد فى القرآن الكريم والسنة المطهرة الصحيحة . فقد جاءت مفردة ومثنى وجمعا فجاءت مفردة فى قوله تعالى: " **قُلْ إِنَّ الفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ** [1]" وقوله تعالى:" **إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ** [2]" وقوله تعالى:"**وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ** [3]".

وجاءت مفردة مثنى فى قوله تعالى:" **وَقَالَتِ اليَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ** [4]".

وجاءت اليد جمعاً فى قوله تعالى:" **أَوَ لَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَاماً** [5]".

وانقسم العلماء فى تفسير اليد إلى ثلاثة آراء : –

الرأى الأول : يرى أهل السنة والجماعة إثبات صفة اليد لله تبارك وتعالى وحملها على الحقيقة لا على المجاز إلا أنهم لا يكيفون شيئاً من ذلك ولا يجسدون فيه صفة محصورة . وقال القاضى أبو يعلى: لا تجاوز رد هذه الأخبار ولا التشاغل بتأويلها والواجب حملها على ظاهرها وأنها صفات الله لا تشبه صفات سائر الموصوفين بها من الخلق ولا يعتقد التشبيه فيها[6].

الرأى الثانى : وهو رأى المشبهة فقد ذهبوا إلى أن يد الله عبارة عن عضو جسمانى كما فى حقى كل واحد . وظنوا أن اتفاق الصفات فى الأسماء يستلزم اتفاقها فى المسميات وهذا ظن ضال[7].

واحتجوا على رأيهم الباطل بقوله تعالى:" **أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَا** [8]" ووجه استدلالهم بهذه الآية : أن الله – عز وجل – قدح فى إلهية

---

(1) سورة آل عمران آية (73) .

(2) سورة الفتح آية (10) .

(3) سورة الذاريات آية (47) .

(4) سورة المائدة آية (64) .

(5) سورة يس آية (83) .

(6) القواعد المثلى فى صفات الله وأسمائه الحسنى محمد بن صالح العثيمين ص45 ط1999 مكتبة العلم .

(7) أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة جـ412/2 .

(8) سورة الأعراف آية (190) .

الأصنام لأجل أنها ليس لها شى من هذه الأعضاء ، فلو لم تحصل لله هذه الأعضاء لزم القدح فى كونه إلها، ولما بطل ذلك وجب إثبات هذه الأعضاء له[1].

ومن المشبهة من ذهب إلى أبعد من ذلك فأجازوا على ربهم الملامسة والمصافحة ، وأن المسلمين المخلصين يعانقونه فى الدنيا والآخرة إذا بلغوا فى الرياضة والاجتهاد إلى حد الإخلاص والاتحاد المحض[2].

إن هذا القول يوصف صاحبه بالكفر الواضح . وهذا الكلام لا يصدر ممن لدية مثقال حبة من خردل من عقل ، فمن أين أتوا بهذه الأوصاف الفاضحة؟ ولا يسعنا إلا أن نقول أمام هؤلاء الذين شبهوا الله بخلقه قوله تعالى:"**لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ** [3]"

الرأى الثالث : قالت المعتزلة والأشاعرة والماتريدية والجهمية بتأويل"اليد" بلفظ يتناسب مع جلال الله وعظمته فأولوها بالقدرة تارة وبالقوة تارة أخرى وبالنعمة ثالثة .

وذهب علماء التفسير إلى القول بالتأويل حسب موقع اليد من الآية فتجد الإمام ابن كثير يقول عند تفسير قوله تعالى:" **وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ** [4]" .اى بقوة قاله ابن عباسى و مجاهد وقتادة والثورى و غير واحد[5] ويقول الإمام النسفى أن المراد " بأيد " أى بقوة والأيد القوة" [6].

واختلف علماء التفسير عند قوله تعالى :" **بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ** [7]" فقال الزجاج : ذهب قوم إلى أن معنى يد الله "نعمته . وهذا خطأ ينقضه قوله تعالى:" **بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ**" فيكون المعنى على قولهم : نعمتاه ، ونعم الله أكثر من أن تحصل . والمراد بقوله:" **بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ**" أنه جواد ينفق كيف يشاء وإلى نحو هذا ذهب إبن الأنبارى . وقال ابن عباس : إن شاء وسع فى الرزق وأن شاء قتر[8].

وقال الإمام الرازى : في سبب نزول الآية الكريمة أنها نزلت فى اليهود وكانوا أكثر مالا وثروة ، فلما بعث الله محمداً كذبوا به فضيق الله عليهم المعيشة فعند ذلك قالت اليهود: "يد الله

---

(1) تفسير الفخر الرازى جـ45/12 .

(2) الملل والنحل جـ118/1 .

(3) سورة الشورى آية (11) .

(4) سورة الذاريات آية (47) .

(5) تفسير ابن كثير جـ239/4 .

(6) تفسير النسفى جـ604/2.

(7) سورة المائدة آية (64) .

(8) تفسير زاد المسير فى علم التفسير جـ394/2.

مغلولة" أى مقبوضة عن العطاء فنزلت الآية تكذب ما قاله اليهود وتثبت أن الله جواد كريم ، فغل اليد وبسطها مجاز مشهور عن البخل والجود[1].

ويؤيد ذلك الحديث الصحيح الذى أخرجه الإمام البخارى فى صحيحه عن أبى هريرة – رضى الله عنه– أن رسول الله صلى الله عليه وسلم – قال " يمين الله ملأى لا يغيضيها نفقة سحاء الليل والنهار. أرأيتم ما أنفق منذ خلق السماوات والأرض ؟ فإنه لم ينقص ما فى يمينه ، وعرشه على الماء وبيده الأخرى القبض يرفع ويخفض[2].

والراجح ما ذهبى إليه أهل السنة والجماعة وهو منهج السلف الصالح – رضوان الله عليهم – من وجوب الإيمان بهذه الصفات من غير تأويل ولا تجسيم ولا تحديد ولا تمثيل.

المجيء والنزول

جاء في القرآن الكريم آيات تثبت صفة الإتيان والمجيء مثل قوله تعالى:" **هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ أَن يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ الْغَمَامِ** [3]" وقوله تعالى :" **وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفاً صَفاً** [4]".

وانقسم العلماء في مفهوم النزول والمجيء إلى ثلاثة آراء : –

الرأى الأول : ذهب أهل السنة والجماعة إلى إثبات كل ما جاء فى القرآن الكريم من فوقية وتحتية واستواء على العرش ، ووجه ويعد ومحبه وبغض من غير تأويل ولا تشبيه ولا تمثيل . وهذا مذهب السلف الصالح[5].

الرأى الثانى:– وهو رأى المشبهة : فقد شبهوا نزول المولى – عز وجل – بنزول خلقه مبالغة فى الإثبات وهذا انحراف فى التنزيه[6].

الرأى الثالث :– ذهب بعض جمهور المفسرين إلى تأويل الآيات تأويلا يتناسب مع جلال الله – عز وجل – وعظمته . وإلى هذا ذهب الإمام النسفى والزمخشرى والرازي . فيقول الامام النسفى عند تفسير قوله تعالى :" **وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفاً صَفاً** " هذا تمثيل لظهور آيات اقتداره

---

(1) تفسير الفخر الرازى جـ43/12 – 44 الكشاف للزمخشرى جـ627/4 .

(2) أخرجه البخارى . أنظر فتح البارى لابن حجر العسقلانى 97 كتاب التوحيد 22 (باب وكان عرشه على الماء وهو رب رب العرش العظيم) ، جـ403/13 .

(3) سورة البقرة آية (210) .

(4) سورة الفجر آية (22) .

(5) تاريخ المذاهب الإسلامية للإمام محمد ابو زهرة ص 196 ط دار الفكر العربى .

(6) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة جـ412/2 .

وتبين آثار قهره وسلطانه ، فإن واحدا من الملوك إذا حضر بنفسه ظهر بحضوره من آثار الهيبة ما لا يظهر بحضور عساكره وخواصه[1]

وقال ابن عباس – رضى الله عنه–أن المراد من المجيء أمره وقضاؤه . وقال القاضى أبو يعلى : أن المراد من المجيء قدرته وأمره[2].

وممن قالوا بتأويل الآيات و صرفها من المعنى الحقيقى الى المعنى اللغوى الماتريدى والإمام الغزالى وهذا ما رجحه الإمام محمد أبو زهره فنراه يقول: "إن الصحابة كانوا يفسرون بالمجاز إن تعذر إطلاق الحقيقة كما يفسرون بالحقيقة فى ذاتها فيصح أن نفسر اليد بالقوة أو النعمة ، ويصح أن نفسر الوجه بالذات والنزول إلى السماء بمعنى قرية" – سبحانه وتعالى – من العباد ، وأن اللغة تتسع لهذه التفسيرات والألفاظ تقيل هذه المعانى[3].

ومن الأحاديث التى أثبتت نزول المولى – تبارك وتعالى – حديث البخارى الذى أخرجه عن أبى هريرة – رضى الله عنه – قال : ينزل ربنا – تبارك وتعالى – كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر فيقول : من يدعونى فأستجب له ؟ من يسألنى فأعطيه ؟ و من يستغفرنى فأغفر له [4] وتباينت آراء العلماء فى مفهوم النزول : فمنهم من أجراه على ما ورد مؤمناً به على طريقة الإجمال منزها الله تعالى عن الكيفية والتشبيه وهم جمهور السلف . فى هذا يقول الإمام أحمد بن حنبل : ينزل كيف يشاء بعلمه وقدرته وعظمته أحاط بكل شى علماً لا يبلغ قدره واصفه ولا ينأى عنه هروب هارب[5].

ومن العلماء ومن أول النزول على وجه يليق بذاته –سبحانه وتعالى – وهو نزول علمه وقدرته[6].

ويرى الإمام الغزالى أن التأويل فى هذا الحديث من وجهين : –

<u>الوجه الأول</u> : إضافة النزول إلى الله – سبحانه وتعالى – على سبيل المجاز وفى الحقيقة مضاف إلى ملك من الملائكة .

---

(1) تفسير النفسى جـ805/2 ، تفسير الزمخشرى جـ253/4 .

(2) زاد المسير فى علم التفسير جـ225/1.

(3) تاريخ المذاهب الإسلامية ص 198 .

(4) أخرجه البخارى . أنظر فتح البارى لابن حجر العسقلانى 19 (كتاب التهجد) 14 باب الدعاء والصلاة من آخر الليل جـ29/3 .

(5) أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائى جـ453/2 .

(6) إزالة الشبهات عن الآيات والأحاديث المتشابهات للإمام شمس الدين محمد بن أحمد بن عبد المؤمن بن اللبان الشافعى الشافعى ص 117 ط 2002 دار البيان العربى.

كقوله تعالى: " **وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ** [1]" والمسئول بالحقيقة أهل القرية .

الوجه الثانى : أن لفظ النزول على سبيل التلطف والرحمة[2].

ومن الفرق الكلامية التى أنكرت صحة أحاديث النزول المعتزلة والخوارج. وهذا مكابرة منهم .

والراجح فى فهم أحاديث النزول منهج السلف الصالح وهو الإيمان بلا كيف والسكوت عن المراد إلأ أن يرد ذلك عن الصادق فيصار إليه[3] .

المعيــة

ورد إثبات معية الله – عز وجل – لعباده فى القرآن الكريم والسنة فقد جاءت آيات كثيرة تبين معية الله تعالى لخلقة نذكر فيها قوله تعالى" **وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ** [4]".

وقوله تعالى:" **مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَى ثَلاثَةٍ إِلاَّ هُوَ رَابِعُهُمْ وَلاَ خَمْسَةٍ إِلاَّ هُوَ سَادِسُهُمْ وَلاَ أَدْنَى مِن ذَلِكَ وَلاَ أَكْثَرَ إِلاَّ هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ القِيَامَةِ إِنَّ اللّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ** [5]" فهذه الآيات تتحدث عن المعية العامة للخلق والتى تشملهم جميعاً مؤمنهم وكافرهم إنسهم إنسهم وجنهم معية علم وإحاطة . وهذا ما أشار إليه جمهور المفسرين فنرى الإمام ابن كثير يقول عند تفسير قوله تعالى" **وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ**" أى رقيب عليكم و شهيد على أعمالكم حيث كنتم وأين كنتم فى بر أو بحر فى ليل أو نهار فى البيوت أو فى القفار فالجميع فى علمه على السواء وتحت تصميمه وسمعه فيسمع كلامكم ويرى مكانكم ويعلم سركم ونجواكم[6].

ويقول الإمام النسفى عند تفسير قوله تعالى" **وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ** " أى بالعلم والقدرة عموما وبالفضل والرحمة خصوصا[7] .

كما جاء فى القرآن الكريم أيضاً آيات تتحدث عن المعية الخاصة مثل قوله تعالى: " **لاَ تَحْزَنْ إِنَّ اللَّـهَ مَعَنَا** [8]" وقوله تعالى: " **إِنَّ اللَّـهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوا وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ** [1]" وقوله تعالى: " **وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّـهَ مَعَ الصَّابِرِينَ** [2]" .

---

(1) سورة يوسف آية (82) .

(2) الاقتصاد فى الاعتقاد لأبى حامد الغزالى ص 39–40 ط1988 دار الكتب العلمية .

(3) فتح البارى بشرح صحيح البخارى جـ30/3 .

(4) سورة الحديدة آية (4) .

(5) سورة المجادلة آية (4) .

(6) تفسير ابن كثير جـ305/4 .

(7) تفسير النسفى جـ645/2 .

(8) سورة التوبة آية (40) .

فهذه الآيات الكريمة اعتبرها علماء التفسير بأنها معية خاصة للأنبياء والمؤمنين الصالحين . وتكون بمعنى الرعاية والعناية والحفظ والتوفيق فيقول الإمام النسفى عند تفسير قوله تعالى:" **لاَ تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا** " اى معنا بالنصرة والحفظ[3] .

ويقول الإمام ابن كثير عند تفسير قوله تعالى: " **إِنَّ اللَّـهَ مَـعَ الَّـذِينَ اتَّقَـوا وَالَّـذِينَ هُـم مُّحْسِنُونَ** [4]" أى بتأييده ونصره ومعونته وهديه وسعيه . وهذه معية خاصة . ويقول الإمام النسفى عند تفسير قوله تعالى:"**قَالَ لاَ تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا**[5]" أى حافظكما وناصر كما . أسمع " أقوالكم " وأرى[6] " أفعالكما.

وانقسم علماء العقيدة فى مفهوم معية الله لعباده على ثلاثة آراء:

الرأي الأول : وهو مذهب السلف الصالح فيرون إثبات هذه الصفات وحملها علي الحقيقة لا على المجازر إلا أنهم لا يكيفون شيئا من ذلك ولا يحدون صفة محدودة . فهذه المعية على حقيقتها لكنها معية تليق بالله تعالى ولا تشبه معية أى مخلوق لمخلوق كما أن المعية تقتضى الإحاطة بالخلق علماً وقدرة وسمعاً وبصراً وسلطاناً وتدبيراً[7].

الرأى الثانى : ذهبت الحلولية وهم من قدماء الجهمية إلى أن الله بذاته فى كل مكان ، تعالى الله عن قولهم علواً كبيراً وكبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذباً[8].

الرأى الثالث : ذهب الأشاعرة والماتريدية ومن تبعهم إلى أن المعية يجب أن تؤول تأويلاً يليق بذات الله وجلاله وكمال صفاته فأولوها بالعلم والإحاطة والسمع والبصر . وهذا فى شأن المعية العامة . أما المعية الخاصة فيجب أن تأول بالرعاية والعناية والهداية والتوفيق[9] .

وهذا الرأى سلكه علماء التفسير فقد رأيناهم فسروا المعية بالعلم والقدرة والسمع والبصر والإحاطة والعناية .

---

(1) سورة النحل آية (128) .

(2) سورة الأنفال آية (46) .

(3) تفسير النسفى جـ645/2 ، تفسير ابن كثير جـ343/2 .

(4) سبق تخريجها .

(5) سورة طه آية (46) .

(6) تفسير النسفى جـ61/2 ، الكشاف للزمخشرى جـ537/2 .

(7) شرح العقيدة الوسطية محمد بن صالح العثيمين صـ247 .

(8) الملل والنحل للشهرستانى جـ122/1 ، التفسير الكبير للإمام العلامة تقى الدين ابن تيمية جـ119/6 دار الكتب العليمة ط 1988 .

(9) تاريخ المذاهب الإسلامية للشيخ محمد أبو زهره صـ 199 .

ومن الأحاديث التى أثبتت صفة المعية ما أخرجه الإمام البخارى فى صحيحة عن أبى هريرة – رضى الله عنه – قال : النبى صلى الله عليه وسلم . يقول الله تعالى : "أنا عند ظن عبدى بى وأنا معه إذا ذكرنى فان ذكرنى فى نفسه ذكرته فى نفسى وإن ذكرنى فى ملا ذكرته فى ملأً خير منهم [1]".

فيشير هذا الحديث القدسى إلى ذكر المعية الخاصة بأن الله – عز وجل– يكون قريباً من عبده ، فإذا ذكره العبد فى نفسه بالتقديس والتنزيه سرا ، ذكره الله بالثواب والرحمة سراً . فالذكر من أكبر العبادات فمن ذكره وهو خائف أمنه ، أو مستوحش أنسه قال تعالى" **أَلاَ بِذِكْرِ اللَّـهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ** [2]". وإذا ذكر العبد ربه فى جماعة ذكره الله فى الملأ الأعلى . فالحديث الشريف أثبت معية الله لعبده المؤمن الصالح فهى معية هداية ومغفرة ورحمة وعناية .

وتبقى مسألة مهمة يثيرها بعض العلماء وهى أن صفة المعية لا تعارض علو الله – عز وجل – واستوائه على عرشه ، فقد جمع الله – تبارك وتعالى – بينهما فى آية واحدة إذ يقول تعالى" **هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى العَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ وَاللَّـهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ** [3]".

---

[1] أخرجه البخارى . أنظر : فتح البارى شرح البخارى لابن حجر العسقلانى 97 (كتاب التوحيد) 5باب "ويحذركم الله نفسه" جـ384/13 .

[2] سورة الرعد آية (28) .

[3] سورة الحديد آية (4) .

ووجه الجمع من وجوه ثلاثة:

الأول : أنه ذكر استواءه على العرش ثم قال" **وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ** " إذا جمع الله لنفسه بين وصفين فإننا نعلم علم اليقين أنهما لا يتناقضان ، لأنهما لو تناقضا لاستحال اجتماعهما إذ المتناقضين لا يجتمعان ولا يرتفعان فلابد من وجود أحدهما و انتفاء الثانى . ولو كان هناك تناقض لزم أن يكون أول الرواية مكذبا لآخرها أو بالعكس.

الثانى : إنه قد يجتمع العلو والمعية فى المخلوقات كقول القائل مازلنا نسير والقمر معنا. قال شيخ الإسلام اين تيمية: " القمر آية من آيات الله من أصغر مخلوقاته وهو موضوع فى السماء وهو مع المسافر وغير المسافر أينما كان" . فهذا المثل تقريبا للمعنى وتحقيقا لصحة كون الشمس مع الإنسان حقيقة مع تباعد ما بينهما . وذلك أن القمر من أصغر المخلوقات وهو فى السماء مع المسافر وغيره أينما كان ، فإذا كان هذا المخلوق وهو أصغر المخلوقات تقول : إنه معنا، وهو فى السماء . ولا يعد ذلك تناقضا ولا يقتضى اختلاطا فلماذا لا يصح أن تجرى آيات المعية على ظاهرها ونقول : هو معنا حقيقة وإن كان هو فى السماء فوق كل شئ .

الثالث : لو تعذر اجتماعها فى حق المخلوق ، لم يكن متعذراً فى حق الخالق ، لأن الله أعظم وأجل ، ولا يمكن أن تقاس صفات الخالق بصفات المخلوقين لظهور التباين بين الخالق والمخلوق[1].

لقوله تعالى:" **لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ** [2]".

---

[1] شرح العقيدة الوسطية صـ 246 – 248 .

[2] سورة الشورى آية (11) .

رؤية المولى – عز وجل – فى الآخرة للمؤمنين

انقسم العلماء فى مسألة رؤية المؤمنين ربهم يوم القيامة على رأيين :

الرأي الأول : يمثله جمهور العلماء من السلف والخلف فقد ذهبوا إلى جواز رؤية المؤمنين ربهم يوم القيامة بلا كيفية ولا جهة ولا تمثيل ولا تأويل – وإلى هذا ذهب جمهور المفسرين واستدلوا على ذلك بالأدلة التالية:

أولاً :– قوله تعال:" **إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ** [1]".

يقول الإمام ابن كثير: إن ثبوت رؤية المؤمنين ربهم يوم القيامة أمر مجمع عليه من الصحابة والتابعين وسلف هذه الأمة كما هو متفق عليه بين أئمة الإسلام وهداة الأنام[2] .

ويقول الإمام الشوكانى فى فتح القدير : إن المؤمنين ينظرون إلى ربهم بلا كيفية ولا حد محدود ولا "صفة مخلوقة"[3] .

ويقول الإمام أبو الحسن الأشعرى مبينا رؤية المؤمنين ربهم يوم القيامة "أن كل موجود يصبح أن يرى ، والبارى تعالى موجود فيصبح آن يرى بلا جهة ولا مكان ولا صورة ومقابلة واتصال شعاع أو على سبيل انطباع فإن كل ذلك مستحيل"[4]".

ثانيا : واستدلوا بقوله تعالى:" **لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ** [5]" فالمراد من الزيادة النظر إلى وجهه الكريم . وإلى هذا التفسير ذهب جمهور الصحابة والتابعين ومن تابعهم بإحسان من أئمة الفقه والحديث أن المراد من الزيادة النظر إلى وجهه الكريم سبحانه وتعالى.

ثالثا : استدلوا بقوله تعالى: " **كَلاَّ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ** [6]" فيقول الإمام الشافعى – رحمه الله – ما حجب الفجار إلا وقد علم أن الأبرار يرونه –عز وجل[7] .

واحتج الإمام مالك على رؤية المؤمنين لله تبارك وتعالى – من جهة دليل الخطاب وإلا فلو حجب الكل لما أغنى هذا التخصيص فنراه يقول : "لما حجب – " عز وجل – أعداءه فلم يروه تجلى – جل شأنه لأوليائه حتى رأوه[1].

---

(1) سورة القيامة آية (23) .

(2) تفسير ابن كثير جـ450/4 .

(3) فتح القدير محمد بن على الشوكانى جـ340/5 دار الفكر العربى معالم التنزيل لأبى محمد الحسن بن مسعود الفراء البغوى جـ424/4 دار المعرفة بيروت – لبنان تفسير النسفى جـ754/2.

(4) الملل والنحل للشهر ستانى جـ112/1 – 113 .

(5) سورة يونس آية (26) .

(6) سورة المطففين آية (15) .

(7) تفسير ابن كثير جـ487/4 .

رابعا : استدلوا بالأحاديث الصحيحة التى أثبتت رؤية المؤمنين ربهم ومنها.

ما أخرجه البخارى فى صحيحة عن جرير قال" : كنا جلوسا عند النبى صلى الله عليه وسلم إذ نظر إلى القمر ليلة البدر فقال : "إنكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر لا تضامون فى رؤيته " [2].

عن صهيب عن النبى – صلى الله عليه وسلم قوله:" **لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الحُسْنَى وَزِيَادَةٌ** " قال : إذا دخل أهل الجنة نادى مناد : إن لكم عند الله موعداً ؟

قالوا: ألم يبيض وجوهنا وينجينا من النار ويدخلنا الجنة ؟ قالوا : بلى قال: فيكشف الحجاب ، فوالله ما أعطاهم شيئاً أحب إليهم من النظر إليه[3].

وأخرج الإمام الترمذى فى صحيحة أيضا عن جرير بن عبد الله البجلى قال : كنا جلوسا عند النبى – صلى لله عليه وسلم – فنظر إلى القمر ليلة البدر فقال إنكم ستعرضون على ربكم فترونه كما ترون هذا القمر لا تضامون فى رؤيته ، فإن استطعتم أن لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وصلاة قبل غروبها فافعلوا[4] " .

الرأى الثانى : ذهبت المعتزلة والخوارج وبعض المرجئة إلى إنكار رؤية المولى – عز وجل – واستدلوا على ذلك بما يلى:

أولاً: قوله تعالى على لسان موسى حينما سأل ربه – عز وجل – الرؤية فقال له " **لَن تَرَانِي وَلَكِنِ انظُرْ إِلَى الجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي** [5]".

ثانياً : كما استدلوا بقوله – عز وجل – : " **لاَ تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ** [6]".

ثالثاً : تأولوا آيات الرؤية قاولوا قوله تعالى" **إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ** [7]" كما تولوا قوله تعالى:" **كَلاَّ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ** [8]" فيقول الإمام الزمخشرى فى تفسير هذا تمثيل للاستخفاف يهم

---

(1) روح المعانى لشهاب الدين محمد الألوسى البغدادى جـ73/30 مكتبة دار التراث الإسلامى.

(2) أنظر فتح البارى شرح صحيح البخارى 97 كتاب التوحيد 24 باب قوله تعالى : وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظره جـ 13 / 419 .

(3) أخرجه الإمام الترمذى فى الجامع الصحيح 39 كتاب صفة الجنة 16 باب ما جاء فى رؤية الرب تبارك وتعالى جـ687/4 .

(4) المرجع السابق جـ687/4 .

(5) سورة الأعراف آية (143) .

(6) سورة الأنعام آية (102) .

(7) سورة القيامة آية (23) .

(8) سورة المطففين آية (15) .

وإهانتهم لأنه لا يؤذن على الملوك إلا الوجهاء المكرمين لديهم ولا يحجب عنهم إلا الأدنياء المهانون عندهم"[1] .

رابعاً : استدلوا بدليل عقلى وهو أن الرؤية توجب كون المرئى محدثاً وحالا فى مكان .

وأجاب الجمهور على هذه الأدلة بما يلى:

أولاً : بالنسبة للدليل الأول وهو قوله عز وجل لموسى عليه السلام حينما سأل ربة الرؤية قال" **لَن تَرَانِي** [2]" فقد أجاب الجمهور على هذه الآية من عدة وجوه.

الوجه الأول : أن موسى عليه السلام لم يسأل ربه المستحيل ، ولو كان مستحيلا لما سأل هذا السؤال.

الوجه الثانى : أن الله لم ينكر على موسى بالسؤال كما أنكر على سيدنا نوح عليه السلام حينما سأل ربة نجاة ابنه ، فأنكر عليه ذلك بقوله :" **إِنِّي أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ الجَاهِلِينَ** [3]"

الوجه الثالث : إن الله – عز وجل علق الرؤية على شرط وهو استقرار الجبل فى قوله تعالى:" **وَلَكِنِ انظُرْ إِلَى الجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي** [4]" فأعلمه أن الجبل مع قوته وصلابته لا يثبت للتجلى فى هذه الدار فكيف بالبشر الذى خلق من ضعف .

الوجه الرابع: إن الله – عز وجل – كلم موسى موسى وناداه وناجاه ، ومن جاز علية التكليم والتكلم جاز رؤيته[5].

أما دليلهم الثاني: وهو قوله:" **لاَ تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ** " فهذا حجة عليهم لا لهم لأن الإدراك يختلف عن الرؤية ، فالإدراك هو الإحاطة بالشىء ، وقدر زائد على الرؤية فلما رأى أصحاب موسى – عليه السلام – قوم فرعون – قالوا" **إِنَّا لَمُدْرَكُونَ * قَالَ كَلاَّ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ**[6]" فلم ينف موسى عليه السلام – الرؤية وإنما نفسى الإدراك فالرؤية. والإدراك كل منهما يوجد مع الآخر وبدونه فالله يُرى ولا يدرك [7].

---

(1) الكشاف للزمخشرى جـ722/4 ، أنوار التنزيل وأسرار التأويل للإمام ناصر الدين أبى سعيد بن عمر بن محمد الشيرازى البيضاوى جـ578/2 ط 1999 – دار الكتب العلمية .

(2) سورة الأعراف آية (143) .

(3) سورة هود آية (46) .

(4) سبق تخريج الآية .

(5) شرح العقيدة الطحاوية صـ 192 .

(6) سورة الشعراء آية (61) (62) .

(7) شرح العقيدة الطحاوية صـ 193 .

أما دليلهم الثالث : فهو تأويل : آيات الرؤية فأولوا قوله تعالى :" **إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ** " أى منتظرة تواب ربها .

ويرد عليهم بأن حمل النظر على الانتظار لأمر ربها أو لثوابه ولا يصح لأنه يقال نظرت فيه أى تفكرت ، ونظرته انتظرته ، ولا يعتدى بإلى إلا بمعنى الرؤية مع أنه لا يليق الانتظار فى دار القرار[1].

وأما بالنسبة لدليلهم الرابع : أن الرؤية توجب كون المرئى محدثا فهذا من قصور التفكير البشرى الذى يقيس الأمور الغيبية بما ألفه فى دنياه ويقيس إلهه ومعبودة بالمخلوق الضعيف[2].

فمن خلال هذه الدراسة تبين لنا أن منهج أهل السنة والجماعة فى جواز رؤية المولى عز وجل فى الآخرة هو أفضل الآراء فقد جاءت أدلتهم قوية ومتعاضدة بالمنقول من القرآن والسنة والإجماع والمعقول فرؤية المولى – عز وجل – فى الآخرة لعباده المؤمنين الصالحين أمر مجمع عليه من السلف الصالح والخلف وأهل الحديث والفقه لا ينكرها إلا مكابر جاهل بأحكام الدين والشريعة .

وتبقي مسألة مهمة وهى هل رأى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ربه ليلة الإسراء والمعراج ؟ انقسم العلماء فى هذه المسألة إلى ثلاثة آراء :

الرأي الأول: ذهب أهل الستة والجماعة وهو مذهب السلف الصالح من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن تابعهم والمعراج واستدلوا على ذلك بما أخرجه الإمام الترمذى فى الجامع الصحيح "أن أبا ذر سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم – هل رأيت ربك ؟ فقال : نور أنى آراه[3]".

وقالت أم المؤمنين عائشة – رضى الله عنها – من حدث أن محمد رأى ربه فقد كذب" ثم قرأت قوله تعالى :" **لاَ تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الخَبِيرُ** [4]" ولكنها قالت : رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم – جبريل مرتين على صورته[5].

---

(1) تفسير النسفى جـ2/702 ، الكشاف للزمخشرى جـ 4 /632 .

(2) أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة جـ2/454 .

(3) أخرجه الإمام الترمذى 48 (كتاب تفسير القرآن 54) باب من سورة النجم جـ 5/396 وقال أبو عيسى هذا حديث حسن .

(4) سورة الأنعام آية (102) .

(5) تفسير ابن كثير جـ4/253 .

وأخرج الإمام الترمذى أن مسروقاً دخل على عائشة رضى الله عنها فسألها هل رأى محمد ربه ؟ فقالت : لقد تكلمت بشئ قف له شعرى قلت : رويداً. ثم قرأت" **لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الكُبْرَى**[1]" قالت أين يذهب بك ؟ إنما هو جبريل من أخبرك أن محمداً رأى ربه فقد أعظم الفرية ولكنه رأى جبريل ولم يره فى صورته إلا مرتين مرة عند سدرة المنتهى ومرة فى جياد له ستمائة جناح قد سد الأفق[2].

الرأى الثانى : رأى الإمام عبد الله بن عباس – رضى الله عنهما – أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى ربه بفؤاده مرتين[3] .

الرأى الثالث : ذهب بعض العلماء إلى الجمع بين الروايتين رواية أم المؤمنين عائشة ورواية ابن عباس . فعائشة أنكرت رؤية البصر وابن عباس أثبت رؤية الفؤاد[4] .

والراجع ما ذهب إليه سلف الأمة وأئمتها إلى عدم وقوع رؤية المولى عز وجل فى الحياة الدنيا وإنما الرؤية ثبتت للمؤمنين فى الآخرة .

---

(1) سورة النجم آية (18) .

(2) الجامع الصحيح للإمام الترمذى 48 (كتاب التفسير) 4 باب (من سورة النجم) جـ394/5 .

(3) المرجع السابق جـ395/5 – 396 .

(4) راجدع اصول اعتقاد أهل السنة والجماعة جـ512/2 .

الخاتمة

بعد الدراسة المتواضعة للصفات الخيرية عند علماء العقيدة ثبت لنا ما يلى :

أولاً : أن منهج السلف الصالح هو أفضل مناهج علماء العقيدة فى إثبات الصفات الخيرية التي أثبتها المولى – عز وجل – لنفسه كما جاءت في القرآن الكريم والسنة المطهرة كالاستواء على العرش والوجه والعين واليد والنزول والمجيء ، فقد أمنوا بهذه الصفات وتوقفوا عن التكييف والتشبيه والتأويل .

وقالوا إنما توقفنا عن التأويل لأمرين :

الأمر الأول: النص القرآنى جاء صريحاً بالكف عن التأويل فى قوله تعالى" **فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي العِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُوا الأَلْبَابِ** [1]"

الامر الثانى : أن التأويل أمر مظنون بالاتفاق والقول في صفات البارى بالظن غير جائز فربما أولنا الآية على غير مراد الله فوقعنا فى الزيغ[2].

ثانياً : ذهب علماء الخلف إلى القول بتأويل الصفات الخبرية تأويلاً يليق بجلال الله – عز وجل – وقالوا لو تركنا الآيات على ظاهرها لوقع الجهلاء من الناس فى ورطات عقائدية فأولوا الاستواء بالاستيلاء أو الاقتدار كما أولوا الوجه بالذات واليد بالقدرة والعين بالرؤية والنزول بنزول ملك من عنده –سبحانه وتعالى– أو نزول رحمته . والمجيىء بمجيىء أمره .

وهذا المنهج رأيناه عند الأشاعرة والماتريدية والمعتزلة والإمام الغزالى و به قال جمهور المفسرين كالنسفى و الزمخشرى، والرازى و البيضاوى والالوسى .

ثالثاً: انحرفت بعض الفرق الكلامية كغلاة الشيعة من المشبهة والمجسمة والذين شبهوا صفات المولى – عز وجل – بصفات المخلوقين وقالوا إن معبودهم على صورة ذات أعضاء وأبعاض وأجازوا على ربهم الملامسة والمصافحة وأن المسلمين المخلصين يعانقونه فى الدنيا والآخرة . تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً وكبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذبا فسبحانه وتعالى" **لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ** " .

والراجح ما ذهب إليه السلف الصالح من وجوب الإيمان بالصفات الخيرية بلا تشبيه ولا تأويل ولا تمثيل ولا تعطيل . فنؤمن بهذه الصفات ونثبتها لله تعالى كما أثبتها لنفسه فى القرآن والسنة

---

[1] سورة آل عمران آية (7) .

[2] الملل والنحل جـ117/1 .

ونفوض حقيقتها الله – عز وجل – ونضع نصب أعيننا قوله تعالى : " **لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ** [1]" وقوله تعالى:" **سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ العِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ** [2]"

---

[1] سورة الشورى آية (11) .

[2] سورة الصفات آية (180 – 182) .

المصادر والمراجع

1- إزالة الشبهات عن الآيات والأحاديث المتشابهات للإمام شمس الدين محمد بن عبد المؤمن بن اللبان الشافعى خط- البيان العربى.

2- أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للإمام آبى القاسم هبة الله ابن الحسن بن منصور الطبرى اللالكائى ط دار طيبة الرياض.

3- أنوار التنزيل وأسرار التأويل – للقاضى ناصر الدين أبى سعيد عبد الله بن عمر ابن محمد الشيرازى البيضاوى ط- ١٩٩٩، دار الكتاب العلمية.

4- الاقتصاد فى الاعتقاد للإمام الغزالى ط ١٩٨٨ – دار الكتاب العلمية – بيروت – لبنان.

5- التفسير الكبير للإمام تقى الدين ابن تيمية ط ١٩٨٨ دار الكتب العلمية.

6- الجامع الصحيح للإمام محمد بن عيسى بن سورة الترمذى ط- دار الفكر للطباعة – بيروت ، لبنان.

7- القاموس المحيط ط 1987. ، دار الريان.

8- القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى لمحمد بن صالح العثيمين ط ١٩٩٩ ، مكتبة العلم.

9- الكشاف لأبى القاسم جار الله محمد بن عمر الزمخشرى ط دار المعرفة للطباعة والنشر.

10- المعجم الوجيز – مجمع اللغة العربية ط 1999 .

11- الملل والنحل لأبي الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستانى- المكتبة التوفيقية – الفجالة – القاهرة.

12- تاريخ المذاهب الإسلامية للإمام محمد أبو زهرة ط دار الفكر العربى .

13- تفسير الفخر الرازى الشهير بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب ط ١٩٨١ – دار الفتح العربى .

14- تفسير القرآن العظيم لأبن كثير ، ط دار الحديث.

15- جامع البيان فى تفسير القرآن لأبى جعفر محمد بن جرير الطبرى، ط – دار المعرفة.

16- روح المعانى لشهاب الدين محمد الأوسى البغدادى – مكتبة دار التراث الإسلامى.

17- المسير فى علم التفسير للإمام آبى الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزى طيبة 1984- المكتب الإسلامي.

18- شرح العقيدة الطحاوية لابن آبى العز الحنفى ، ط ١٩٨٨ – المكتب الإسلامى.

19- شرح العقيدة الوسطية لمحمد بن صالح العثيمين ، ط دار الدعوة.
20- صفوة التفاسير لمحمد بن على الصابونى ، طس- دار الصابوني.
21- فتح الباري شرح صحيح البخاري ، ابن حجر العسقلانى –ط السلفية ، 1978
22- فتح القدير لمحمد بن على الشوكائى ، ط دار الفكر العربى.
23- مدارك التنزيل وحقائق التأويل للإمام عبد الله بن أحمد بن محمود النسفى، ط دار الكتب العلمية.
24- معالم التنزيل لأبى محمد الحسن بن مسعود الفراء البغوى ، ط ١٩٨٧ – دار المعرفة – بيروت – لبنان.
25- لسان العرب لجمال الدين أين منظور ، ط دار الفكر العربى-

الفصل الثاني

وصايا لقمان في القرآن الكريم

وصايا لقمان فى القرآن الكريم
وأثر العمل بها
" **دراسة موضوعية** "

إعداد
الدكتور / ماهر عيد على إبراهيم
الأستاذ المساعد بقسم الدراسات الإسلامية
كلية الآداب – جامعة جنوب الوادي

المقدمة :

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبع دعوته وسار على سنته إلى يوم . أما بعد ،

فقد تحدث القرآن الكريم عن وصايا لقمان – عليه السلام – لابنه وهو يعظه في سورة لقمان وهي سورة مكية شأنها شأن السور المكية التى تدعو إلى الإيمان بالله عزّ وجلّ وإفراده بالعبودية والوحدانية وكما بينت السورة أن الغيب لله عزّ وجلّ فعنده علم الساعة وإنزال المطر من السماء فتحي به الأرض بعد مواتها والعلم بما في الأرحام ، وما تدرى نفس ما تكسب غداً وما تدري نفس بأى أرض تموت .

وفى هذا البحث نوضح وصايا لقمان لابنه وهو يعظه وأثر العمل بها دراسة موضوعية ، وتشتمل هذه الوصايا على التحذير من الشرك بالله عزّ وجلّ وطاعة الوالدين. ومراقبة الله تبارك وتعالي فى السر والعن ، وإقامة الصلاة ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والصبر على المصائب فإن ذلك من عزائم الأمور والتحذير من الكبر والعجب ، والأمر بالتواضع في المشي والكلام ، ونورد توضيح ذلك يما يلي :

إتيان لقمان الحكمة :

قال تعالي " **وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الحِكْمَةَ أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ** "[1] .

قال علماء التفسير : إن لقمان هو ابن باعوراء بن ناحور بن تارح وهو أزر أبو إبراهيم – عليه السلام – وقيل هو لقمان بن عنقاء بن سرون ، وكان نوبياً من أهل " إيلة " ابن أخت أيوب أو ابن خالته – وقيل من أولاد آزر عاش ألف سنة وأدركه داود عليه الصلاة والسلام وأخذ عنه العلم . وكان يفتي قبل مبعث داود فلما بعث قطع الفتوى فقيل له فقال ألا اكتفي إذا كفيت " [2] .

صفته :

قيل كان لقمان عبداً حبشياً ، وقيل أسود من سودان مصر وقال مجاهد – كان غليظ الشفتين مشقق القدمين . قاضيا على بنى إسرائيل"[3] . وذكر علماء التفسير فى صناعته ثلاثة آراء ، قيل كان خياطاً . والثاني : راعياً . والثالث : نجاراً[4] .

واختلف علماء التفسير فى معني "الحكمة" فقال الإمام ابن كثير إن المراد من "الحكمة" الفهم والعلم والتعبير[5] .

ويرى الإمام الرازى أن المراد بالحكمة توفيق العمل بالعلم فكل من أوتي توفيق العمل بالعلم فقد أوتي الحكمة[6] .

وقال الإمام القرطبي : " المراد بالحكمة هى الصواب فى المعتقدات والفقه فى الدين والعقل"[7] .

وذهب عكرمة والشعبي إلى أن معني الحكمة هى "النبوة" وعلى هذا يكون لقمان نبياً لأن الحكمة اطلقت على النبوءة فى كثير من الآيات القرآنية كقوله تعالي فى داود عليه السلام "

---

[1] سورة لقمان آية (12)

[2] تفسير الإمام النسفي المسمي مدارك التنزيل وحقائق التأويل ج317/2 ، ط دار الكتب العلمية ، 1995 ، التحرير والتنوير لابن عاشور ج146/8 ط دار سحنون للنشر والتوزيع .

[3] زاد المسير فى علم التفسير لابن الجوزى ج85/3 ط دار الفكر العربي للطباعة والنشر والتوزيع 2009م

[4] التحرير والتنوير لابن عاشور ج149/8–150 ، زاد المسير ج85/3

[5] تفسير الإمام ابن كثير ج553/3

[6] مفاتيح الغيب للإمام الرازي ج127/21 ، ط دار الكتب العلمية 1990م

[7] الجامع لأحكام القرآن الكريم للإمام القرطبي ج46/14–47، ط الثانية 2009م ، ويقول الإمام النسفى ج318/2 ما نصه " إن الرجل لا يكون حكيما حتى يكون حكيما فى قوله وفعله ومعاشرته وصحبته .

وَآتَيْنَاهُ الحِكْمَةَ وَفَصْلَ الخِطَابِ" [1] . وفسرت الحكمة فى قوله " **وَمَن يُؤْتَ الحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً**"[2] بما يشمل النبوءة ،وأن الحكمة معرفة حقائق الأشياء على ما هى عليه وأعلاها النبوءة ، لأنها علم بالحقائق مأمون من أن يكون مخالفاً لما هي عليه من نفس الأمر، إذ النبوءة متلقاه من الذى لا يعزب عن علمه شئ"[3] .

والراجح ما ذهب إليه جمهور المفسرين من أن لقمان كان حكيما صالحاً ولم يكن نبياً ، لأن الرسل تبعث من عالية القوم وخيارهم حسباً ونسباً وخلقةً وحرية .

"أن اشكر لله" أمرناه أن يشكر الله – عزّ وجلّ – على ما أتاه الله ومنحه ووهبه من الفضل الذى خصه به عمن سواه من أبناء جنسه وأهل زمانه[4] .

"ومن كفر فإن الله غني حميد" أى غني عن العباد حتى لا يتضرر بذلك ولو كفر أهل الأرض كلهم جميعاً، فإنه الغني عمن سواه فلا إله إلا الله ولا نعبد إلا إياه– ويقول الإمام الرازى : "إن الله غير محتاج إلى شكر حتي لا يتضرر بكفران الكافر وهو في نفسه محمود سواء شكره الناس أو لم يشكروه"[5] ، والحاصل أن شكر القلب المعرفة وشكر اللسان الحمد وشكر الأركان الطاعة ورؤية العجز فى الكل دليل قبول الكل"[6] .

النهي عن الشرك بالله عزّ وجلّ : بدأ لقمان عليه السلام وصيته لابنه بالأهم وهو التحذير من الشرك بالله – عزّ وجلّ – فقال تعالي " **وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لابنه وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لاَ تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ**"[7] فالشرك قبيح وظلم صارخ لأنه وضع الشئ في غير موضعه فمن سوى بين الخالق والمخلوق وبين الإله والصنم فهو بلا شك أحمق الناس وأبعدهم عن منطق العقل وحرى أن يوصف بالظلم ويجعل فى عداد البهائم"[8] ويقول الإمام النسفي عند تفسير قوله تعالي " **إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ**" لأنه تسوية بين من لا نعمة إلا وهى منه وبين من لا نعمة له أصلا[9] .

---

[1] سورة (ص) آية (20)

[2] سورة (البقرة) آية (269)

[3] التحرير والتنوير لابن عاشور ج149/8 ، أحكام القرآن لأبي بكر محمد بن عبد الله المعروف بابن العربي ج500/3 ط ط دار المنار ، 2002م .

[4] تفسير الإمام ابن كثير ج353/3

[5] مفاتيح الغيب للإمام الرازي ج553/21، زاد المسير في علم التفسير ، ج85/3

[6] تفسير الإمام النسفى ج318/2

[7] سورة (لقمان) آية (13)

[8] صفوة التفاسير للشيخ الصابوني ج491/2

[9] تفسير الإمام النسفى ج318/2

والشرك فى اللغة : من شركته فى الأمر أشركه شركاً وشركه إذا صرت له شريكا وجمع الشريك شركاء وأشراك ، وشركت بينهما في المال تشريكا وأشركته فى الأمر والبيع جعلته لك شريكاً والشرك اسم من أشرك بالله إذا كفر به"[1] .

واصطلاحاً :

فقد عرفه الإمام الأكبر محمود شلتوت فقال : الشرك هو أن يتخذ له سبحانه وتعالي شريكاً فيما هو من خصائص الألوهية وهي السلطة الغيبية المهيمنة وراء الأسباب والسنن التى يتعلق بها الرجاء فى الحصول على المحبوب ودفع المكروه . فهذه السلطة لله وحده خالق المحبوب والمكروه وخالق الأسباب وحاكمها ومدبرها ليس منها شئ لأحد سواه لا بطريق الذات ولا بطريق المنع والعطاء حتى يصح أن يدعي أو يتجه إليه الخوف أو الرجاء – وعلى هذا فمن اعتقد أن شيئا من هذه السلطة لغير الله فقد أشرك بالله"[2] .

ويرى الإمام أبو بكر الجزائري أن الشرك ضد التوحيد كالكفر ضد الإيمان فالشرك فى ربوبية الله تعالي وأسمائه وصفاته تكذيب لله تعالي وكذب عليه – عزّ وجلّ – وفى عبادته تأليه لغيره سبحانه وتعالي وتأليه غير الله كفر وتكذيب لله تعالي فى قوله "شهد الله أنه لا إله إلا هو"[3] وفي قوله تعالي . "**فَاعْلَمْ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ**"[4] وتكذيب الله تعالي – كفر بلا شك[5] .

---

[1] المصباح المنير كتاب الشين باب الشين مع الراء وما بثلثهما ص 118، القاموس المحيط لمحمد بن يعقوب الفيروز أبادي باب الكاف فصل الشين ص 767 ط دار ابن الجوزي ص 2015

[2] تفسير القرآن الكريم الأجزاء العشرة الأولي للإمام الأكبر محمود شلتوت ص 312، ط دار الشروق 2004م.

[3] سورة (آل عمران) آية (18) .

[4] سورة (محمد) آية (19)

[5] عقيدة المؤمن لأبي بكر الجزائري ص 66

ووصف الشرك بالله بالظلم العظيم :

فعن علقمة عن عبد الله رضي الله عنه قال لما نزلت " **الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ**" [1] قال أصحاب رسول الله – صلي الله عليه وسلم أينا لم يظلم " فأنزل الله – عزّ وجلّ – " **إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ**"[2] .

وقسم علماء العقيدة الشرك إلى ثلاثة أقسام :

القسم الأول : الشرك الأكبر : وهو الذى يخرج الإنسانية من مكانتها وينزل بها كأنما خرت من السماء فتخطفها الطير أو تهوى بها الريح فى مكان سحيق"[3] والشرك الأكبر توعد الله عزّ وجلّ صاحبه بالعذاب الأليم قال تعالي " **إِنَّ اللَّهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْماً عَظِيماً**" [4] كما أن الشرك بالله عزّ وجلّ محبط للعمل قال تعالي " **وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الخَاسِرِينَ**" [5] وقال تعالي " **وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ**" [6].

وورد فى الحديث الصحيح عن عمرو بن شرحبيل قال : قال عبد الله قال رجل يا رسول الله أى الذنب أكبر عند الله؟ قال : أن تدعو لله نداً وهو خلقك "قال ثم أى ؟ قال أن تقتل ودك مخافة أن يطعم معك" قال : ثم أى قال : أن تزانى حليلة جارك"[7] وندأ هو الشبه ويقال ند وندید والحديث دليل على أن أعظم المعاصي الشرك ثم القتل بغير الحق ثم تختلف الكبائر باختلاف مفاسدها الناشئة عنها"[8] .

وتصديقا لهذا الحديث يقول المولي – عزّ وجلّ – " **وَالَّذِينَ لاَ يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهاً آخَرَ وَلاَ يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ وَلاَ يَزْنُونَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَاماً**" [9].

---

[1] سورة (الأنعام) آية (82) .

[2] أخرجه الإمام البخاري فى كتاب الإيمان باب ظلم دون ظلم ج1/16–70 وأخرجه أيضا فى كتاب تفسير القرآن باب تفسير سورة لقمان باب " لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم " ج3/236–237

[3] تفسير الإمام الأكبر محمود شلتوت ص 314

[4] سورة (النساء) آية (48) .

[5] سورة (الزمر) آية (65) .

[6] سورة (الحج) آية (31) .

[7] أخرجه الإمام مسلم فى كتاب الإيمان باب كون الشرك أقبح الذنوب وبيان أعظمها بعده ج1/51

[8] سبل السلام للصنعاني ج4/290

[9] سورة (الفرقان) آية (68) .

ومن الشرك الأكبر الذى لا يغفر لصاحبه عباده الأصنام والأوثان والسجود للشمس والقمر من دون الله – عزّ وجلّ– وقص علينا القرآن الكريم أن قوم نوح عليه السلام عبدوا الأصنام قال تعالي " **وَقَالُوا لاَ تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلاَ تَذَرُنَّ وَداًّ وَلاَ سُوَاعاً وَلاَ يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْراً**" [1] .

"وداً" صنم على صورة رجل "ولا سواعاً" على صورة امرأه "ولا يغوث" صنم على صورة أسد "ويعوق" على صورة فرس "ونسرا" على صورة نسر وهذه الأصنام الخمسة على الخصوص أكبر أصنامهم وأعظمها عندهم ثم انتقلت من قوم نوح إلى العرب فكان ود لكلب وسواع لهمدان ويغوث لمذحج ويعوق لمراد ، ونسر لحمير .

وقيل هى أسماء رجال صالحين كان الناس يقتدون بهم بين آدم ونوح فلما ماتوا صورهم ليكون ذلك أدعي لهم إلى العباده فلما طال الزمان قال لهم إبليس إنهم كانوا يعبدونهم فعبدوهم"[2] .

.

وكان قوم إبراهيم عليه السلام يعبدون الأصنام والأوثان ومنهم من كان يعبد النجوم والكواكب والشمس والقمر ويسجدون لها من دون الله – عزّ وجلّ – قال تعالي " **وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لأَبِيهِ آزَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَاماً آلِهَةً إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلالٍ مُّبِينٍ**" [3] , وقال تعالي فى سورة مريم " **وَاذْكُرْ فِي الكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقاً نَّبِياً إِذْ قَالَ لأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لاَ يَسْمَعُ وَلاَ يُبْصِرُ وَلاَ يُغْنِي عَنكَ شَيْئاً يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ العِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطاً سَوِياً . يَا أَبَتِ لاَ تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِياً . يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِياً . قَالَ أَرَاغِبٌ أَنْتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِياً . قَالَ سَلامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِياً . وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُو رَبِّي عَسَى أَلاَّ أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِياً**"[4].

ففى هذه المحاورة والمجادلة بين سيدنا إبراهيم عليه السلام وبين أبيه المشرك الذى يعبد الأصنام والأوثان من دون الله الواحد القهار ، فدعا إبراهيم أباه إلى الحق والتوحيد بألطف عبارة وأحسن إشارة ، وبين بطلان ما هو عليه من عباده الأصنام التى لا تسمع دعاء عابدها ولا تبصر

---

[1] سورة (نوح) آية (23) .

[2] تفسير الإمام النسفى ج732/2 ، قصص الأنبياء للإمام ابن كثير ج69/1 ط المكتبة التوفيقية

[3] سورة (الأنعام) آية (114) .

[4] سورة (مريم) الآيات من (41–47) .

مكانه فكيف تغني عنه شيئا أو تفعل به خيرا من رزق أو تصر"[1] ويقول المولي – عزّ وجلّ – " **وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لاَ تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلاَ لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ**"[2] .

وقص القرآن الكريم فى سورة النجم أسماء لأصنام كانت قريش تعبدها من دون الله عزّ وجلّ قال تعالي " **أَفَرَأَيْتُمُ اللاَّتَ وَالْعُزَّى . وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الأُخْرَى**"[3] .

واللات والعزى ومناة أصنام لهم وهى مؤنثات فاللات كانت لثقيف بالطائف . وقيل كانت بنخلة تعبدها قريش ، والعزى كانت لغطفان وهى ثمرة وأصلها تأنيث الأعز وقطعها خالد بن الوليد ، ومناة صخرة كانت لهذيل وخزاعة وقيل لثقيف وسميت مناة لأن دماء النسائك كانت تمني عندها أى تراق[4] .

ويقول الإمام ابن كثير إن اللات صخرة بيضاء منقوشة وعليها بيت بالطائف له أستار وسدنه وحوله فناء معظم عند أهل الطائف وهم ثقيف ومن تابعها يفتخرون بها على من عداهم من أحياء العرب بعد قريش .

وحكي عن ابن عباس ومجاهد والربيع بن أنس أنهم قرءوا "اللات" بتشديد التاء وفسره بأنه كان رجلاً يلت للحجيج فى الجاهلية السويق فلما مات عكفوا على قبره فعبدوه[5].

فالشرك بجميع أسبابه وصوره وألوانه شذوذ فى الإنسانية ونوبة مرضية تلحق العقل البشري فتجعله يتخبط فى عبادته وتدينه وليس الشرك ظاهرة انحراف وآية شذوذ خاصة بزمن محمد صل الله عليه وسلم ولا بقومه ولا بعباده الأحجار والأصنام ولا بعباده الشمس والقمر ، وإنما هو ظاهرة ترسخ جذورها وتمتد عروقها فى جوف الإنسانية الفاسدة اللاهية مادامت تخطو على جسر هذه الحياة إلى أن تقع فى دائرة الحياة الأخرى . حياة النعيم أو الجحيم[6] .

الشرك الأصغر "الرياء والسمعة" :

---

[1] قصص الأنبياء للإمام ابن كثير ج130/1 ، الإسلام عقيدة وشريعة للإمام محمود شلتوت ص27 ما نصه "قد نعي القرآن كثيرا على من عدد الإله فاتخذ إلهين اثنين أو عبد شيئا من الخلق كالشمس والقمر والأصنام وحرك عقول المعددين للإله إلى النظر فيما يوجب وحده المعبود وحدة تامة كاملة .

[2] سورة (فصلت) آية (37) .

[3] سورة (النجم) آية (19–20) .

[4] تفسير الإمام النسفى ج614/2 .

[5] تفسير الإمام ابن كثير ج324/4–325 ، صفوة التفاسير للشيخ الصابونى ج274/3

[6] تفسير العشر الأجزاء الأولي للشيخ محمود شلتوت ص314 فتح المجيد شرح كتاب التوحيد للشيخ عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ ص159–160 ط دار الحديث 1999

الرياء وفى معناه السمعة وقد توسع فى أطلاق أحدهما وإرادة كل منهما لمآل أمرهما إلى عدم الإخلاص فالمرائي يظهر العمل ليراه الناس ويستحسنوه فى مقام الإيناس والمسمع يفعل الفعل ليسمعه الخلق وليس فى غرضه رضي الحق إذا وقع فى عمل من الأعمال فى أوله أو أثنائه قبل الإكمال فإنه يبطل أجر ذلك العمل بل يثبت ورزه حيث ظلم نفسه بوضع الشئ في غير موضعه"[1] والمولي سبحانه وتعالي يقول " **فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً وَلاَ يُشْرِكْ بِعباده رَبِّهِ أَحَداً**" [2] .

أى لا شركا جليا ولا خفيا وفيه إيماء إلى أنه إذا قصد الرياء والسمعة وقصد الطاعة والعباده جميعاً يوصف بالشركة مطلقا لغلبة أحدهما على الآخر أو التسوية بينهما فإنه يبطل أجره ويثبت وزره"[3] .

وثبت فى الحديث الصحيح عن أبي هريرة – رضى الله عنه – قال . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عن رب العزة – سبحانه وتعالي – "أنا أغني الشركاء عن الشرك فمن عمل عملاً أشرك فيه معي غيري تركته وشركه"[4] .

وعن أبي سعد بن أبي فضالة الأنصاري وكان من الصحابة قال . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " إذا أجمع الله الأولين والآخرين ليوم القيامة لا ريب فيه نادى منادٍ من كان أشرك فى عمل عمله لله فليطلب ثوابه من عند غير الله فإن الله أغني الشركاء عن الشرك"[5].

وعن سلمه قال سمعت جندباً يقول قال النبي – صلي الله علية وسلم – لم أسمع أحداً يقول قال النبي – صلي اله عليه وسلم – غيره فدنوت منه فسمعته يقول: قال النبي– صلي الله عليه وسلم "من سمَّع سمع الله به ومن يرائي يُرائي الله به "[6] .

---

[1] شرح الفقه الأكبر لأبي حنيفة النعمان تأليف الملا على بن سلطان تحقيق أبي اسحاق المصري ص 151، مكتبة الإيمان

[2] سورة (الكهف) آية (110) .

[3] شرح الفقه الأكبر لأبي حنيفة ص 151

[4] أخرجه الإمام مسلم فى كتاب الزهد والرقائق باب من أشرك فى عمله غير الله ج823/2 ، وأخرجه الإمام ابن ماجه فى فى كتاب الزهد باب الرياء والسمعة ص 441

[5] سنن الترمذى كتاب التفسير باب ومن سورة الكهف ص 819 ، وقال أبو عيسي هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث محمد بن بكر ، وأخرجه ابن ماجه فى كتاب الزهد باب الرياء والسمعة ص 441، وحسنة الإمام الألباني .

[6] أخرجه البخارى فى كتاب الرقائق باب الرياء والسمعة ج182/4 ، أخرجه الإمام مسلم فى كتاب الزهد والرقائق باب من أشرك فى عمله غير الله ج823/2 بلفظ "عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : قال رسول الله – صلي الله عليه وسلم " من سمع سمع الله به ومن راءى راءى الله به "

وقسم الإمام العز بن عبد السلام التسمع إلى قسمين :

أحدهما : تسميع الصادقين أن يعمل الطاعة خالصة لله ثم يظهرها ويسمع الناس بها ليعظموه ويوقروه وينفعوه ولا يؤذوه . وهذا محرم . الثاني : تسميع الكاذبين وهو أن يقول صليت ولم يصل وزكيت ولم يزك وصمت ولم يصم وحججت ولم يحج وغزوت ولم يغز – وهذا أشد ذنبا من الأول زاد على إثم التسمع " إثم الكذب فأتي بمعصيتين قبيحتين بخلاف الأول فإنه إثم التسميع وحده .

وكذلك لو راءي بعباده من العبادات ثم سمع بها موهما لإخلاصها فإنه يأثم بالتسميع والرياء جميعا وإثم هذا أشد إثما من الكاذب الذى لم يفعل ما سمع به لأن هذا إثم بريائه وتسميعه وكذبه ثلاثة آثام"[1] .

والرياء والمن والأذي يبطل الأعمال فإن عرض لهذه الأعمال من الصدقات ما يبطلها من المن والأذى والرياء . فالرياء يمنع انعقادها سببا للثواب والمن والأذى يبطل الثواب الذى كان سببا له . فمثل صاحبها وبطلان عمله كمثل الحجر الأملس عليه تراب فأصابه المطر الشديد فتركه صلداً لا شئ عليه"[2] .

قال تعالي " **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُم بِالْمَنِّ وَالأَذَى كَالَّذِي يُنفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلاَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْداً لاَّ يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لاَ يَهْدِي القَوْمَ الكَافِرِينَ**" [3] .

الشرك الخفي :

ويدخل فى الإنسان كدبيب النمل وقد اشار إليه رسول الله – صلي الله عليه وسلم – فعن ربيح بن عبد الرحمن بن أبي سعيد الخدرى عن أبيه عن أبي سعيد الخدرى قال خرج علينا رسول الله صلي الله عليه وسلم ونحن نتذاكر المسيح الدجال فقال " ألا أخبركم بما هو أخوف عليكم عندى من المسيح الدجال" قال قلنا بلي : فقال "الشرك الخفي أن يقوم الرجل يصلي فيزين صلاته لما يري من نظر رجل"[4] .

أثر العمل بالوصية الأولي النهي عن الشرك بالله عزّ وجلّ :

---

[1] قواعد الأحكام للعز بن عبد السلام ج1/99-100

[2] أعلام الموقعين عن رب العالمين للإمام ابن الجوزى ج1/145 ط1999 مكتبة مصر .

[3] سورة البقرة آية (264)

[4] أخرجه ابن ماجه فى كتاب الزهد باب الرياء والسمعة ص442 وقال الألباني حديث حسن انفرد به ابن ماجه

إن آثارا طيبة تنتج عن العمل بوصية النهي عن الشرك بالله تبارك وتعالي – تتمثل فيما يلي :

أولا : الفوز بسعادة الدارين ففي الحياة الدنيوية يعيش المؤمن عيشة هنيئة محفوفة بالإيمان والتوحيد وإخلاص العمل لله – عزّ وجلّ – وفى الآخرة الفوز بجنة عرضها كعرض السموات والأرض .

ثانيا : دوام التمكين فى الأرض فإن الله – عزّ وجلّ – يمكن لعباده المؤمنين الموحدين قال تعالي : " **وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً يَعْبُدُونَنِي لاَ يُشْرِكُونَ بِي شَيْئاً**" [1] . فدوام التمكين والاستخلاف فى الأرض منوط بإخلاص العباده لله رب العالمين . قال تعالي " **قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ العَالَمِينَ . لاَ شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ المُسْلِمِينَ**"[2] .

وقال تعالي " **قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصاً لَّهُ الدِّينَ. وَأُمِرْتُ لأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ المُسْلِمِينَ**"[3] .

وقال تعالي " **وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ القَيِّمَةِ** "[4] .

وهذا ما أكده رسول الله – صلي الله عليه وسلم – فى حديث معاذ بن جبل حينما كان رديف النبي – صلي الله عليه وسلم – فقال له يا معاذ "هل تدرى ما حق الله على عباده وما حق العباد على الله إذا فعلوه" قال رسول الله صلي الله عليه "حق الله على عباده أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا وحق العباد على الله إذا فعلوه أن لا يعذبهم"[5]

فبالإيمان والتوحيد وإخلاص العباده لله رب العالمين ينال العبد رضا الله – عزّ وجلّ – ويفوز بجنة عرضها السموات والأرض فعن جابر بن عبد الله – رضي الله عنه قال – قال رسول

---

[1] سورة النور آية (55)

[2] سورة الأنعام آية (132– 163)

[3] سورة الزمر آية (11–12)

[4] سورة (البينة) آية (50)

[5] صحيح البخارى كتاب الرقائق باب من جاهد نفسه فى طاعة الله ج182/4

الله صلي الله عليه وسلم "من لقي الله لا يشرك به شيئا دخل الجنة ومن لقيه يشرك به دخل النار"[1] .

الإحسان إلى الوالدين :

بعد دعوة لقمان لابنه إلى النهي عن الشرك جاءت الآيات تتحدث عن الوصية بالوالدين – وقيل إن هذا مما أوصي به لقمان ابنه – أخبر الله به – عنه فقال لقمان لابنه لا تشرك بالله ولا تطع فى الشرك والديك فإن الله وصي بهما فى طاعتهما مما لا يكون شركاً ومعصية لله تعالي .

والصحيح أن هاتين الآيتين نزلتا في شأن سعد بن أبي وقاص وعليه جماعة المفسرين[2] فالإحسان إلى الوالدين وأكرامهما والعمل على برهما أمر من الله تبارك وتعالي إذ يقول الله – عزّ وجلّ في سورة الإسراء "**وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاهُمَا فَلاَ تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلاَ تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيماً . وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيراً**" [3] . وقال تعالي فى سورة الأحقاف " **وَوَصَّيْنَا الإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَاناً**"[4] .

وهذا ما أكده رسول الله – صلي الله عليه وسلم – حيث بين أن أفضل الأعمال إلى الله – عزّ وجلّ – الصلاة لوقتها ثم بر الوالدين فقد ثبت فى الصحيح عن عبد الله – رضي الله عنه – سألت النبي – صلي الله عليه وسلم – أى العمل أحب إلى الله ؟ قال الصلاة على وقتها "ثم "أى" قال "بر الوالدين قال : ثم أى ؟ قال الجهاد فى سبيل الله"[5] .

كما بينت السنة المطهرة أن عقوق الوالدين من أكبر الكبائر فعن أبي بكرة – رضى الله عنه – عن أبيه قال : قال رسول الله – صلي الله عليه وسلم ألا أنبئكم بأكبر الكبائر قلت بلي يا رسول الله قال " لا شراك بالله وعقوق الوالدين وكان متكئا فجلس فقال "ألا وقول الزور وشهادة الزور ألا وقول الزور وشهادة الزور فمال زال يكررها حتى قلنا ليته سكت"[6] .

---

[1] صحيح مسلم كتاب الإيمان باب من مات لا يشرك بالله شيئا ج53/1

[2] الجامع لأحكام القرآن الكريم ج49/14 ، اسباب النزول للوحدى ص 197 ، ط دار المنار 2001

[3] سورة (الإسراء) آية (23)

[4] سورة (الأحقاف) آية (15)

[5] أخرجه الإمام البخارى فى كتاب الأدب – باب البر والصلة ج69/4، وأخرجه الإمام الترمذى فى كتاب البر والصلة باب ما جاء في بر الوالدين ص504 بلفظ عن ابن مسعود رضي الله عنه قال سألت رسول الله – صلي الله عليه سلم – فقلت يا رسول الله أى الأعمال أفضل؟ قال : الصلاة لميقاتها ، قلت ماذا يا رسول الله ؟ قال بر الوالدين"

[6] البخارى كتاب البر والصلة باب عقوق الوالدين من الكبائر ج74/4 ، وأخرجه الإمام الترمذى فى كتاب البر الصلة باب باب ما جاء فى عقوق الوالدين ص505

وعن عبد الله بن عمرو – رضى الله عنهما – قال : قال رسول الله – صلي الله عليه وسلم أكبر الكبائر أن يلعن الرجل والديه قيل يا رسول الله وكيف يلعن الرجل والديه ؟ قال يسب الرجل أبا الرجل فيسب أباه ويسب أمه"[1] .

فيشير الحديث إلى تحريم التسبب فى أذية الوالدين وشتمهما ويأثم من يفعل ذلك .

ومن صور البر بالوالدين الانفاق عليهما إذا كانا فقيرين لا مال لهما – فعن عمارة ابن عمير عن عمته عن عائشة قالت قال رسول الله – صلي الله عليه وسلم – "إن أطيب ما أكلتم من كسبكم وإن أولادكم من كسبكم"[2] ومن البر بالوالدين بعد موتهما الدعاء لهما إكرام صديقهما ، وصلة الرحم التى لا توصل إلا بهما فعن أبي أسيد مالك بن ربيعة قال: "بينما نحن عند النبي – صلي الله عليه وسلم – إذ جاءه رجل من بني سلمة فقال يا رسول الله – صلي الله عليه وسلم "أبقي من بر أبوي شئ أبرهما به من بعد موتهما قال نعم "الصلاة عليهما والاستغفار لهما وإيفاء بعهودهما من بعد موتهما وإكرام صديقهما وصلة الرحم التى لا توصل إلا بهما"[3] والحديث وإن كان ضعيفا فإن له شاهد من القرآن الكريم إذ يقول الله تعالي فى آخر آية الإحسان بالوالدين " **وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيراً**"[4] وقد دعا نوح عليه السلام لوالديه قال " **رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِناً وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلاَ تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلاَّ تَبَاراً**"[5] .

وفى صحيح مسلم عن عبد الله بن عمر – رضى الله عنهما – قال : قال رسول الله – صلي الله عليه وسلم – "أبر البر أن يصل الرجل ود أبيه[6] وورد بلفظ آخر عند الإمام مسلم أيضا أيضا "إن من أبر البر صلة الرجل أهل ود أبيه بعد أن يولي" [7] .

---

[1] أخرجه الإمام البخارى فى كتاب البر والصلة باب لا يسب الرجل والديه ج69/4 ، وسبل السلام للصنعاني ج290/4

[2] أخرجه الإمام الترمذى فى كتاب الأحكام باب الوالد يأخذ من مال ولده ص365 ، وأخرجه الإمام النسائي فى كتاب البيوع باب الحث على الكسب ص739، بلفظ عن عائشة أم المؤمنين – رضى الله عنها ، قالت : قال رسول الله صلي الله عليه وسلم "إن أطيب ما أكل الرجل من كسبه وإن ولد الرجل من كسبه " .

[3] أخرجه الإمام أبو داود فى كتاب الأدب باب في بر الولد ص854 ط دار الفجر للتراث ، وأخرجه ابن ماجه فى كتاب البر والصلة باب صل من كان أبوك يصل ص 3/11

[4] سورة (الإسراء) آية (24)

[5] سورة (نوح) آية (28)

[6] صحيح مسلم كتاب البر والصلة باب صلة أصدقاء الأب والأم ج624/2

[7] المرجع السابق ج624/2

" **حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْناً عَلَى وَهْنٍ** " أى ضعفا على ضعف والمعنى لزمها بحملها إياه أن تضعف مرة بعد مرة"[1] من حين الحمل إلى الولادة ، لأن الحمل كلما ازداد وعظم ازدات به ثقلا وتعباً[2] .

قال تعالي فى سورة الأحقاف : " **حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهاً وَوَضَعَتْهُ كُرْهاً**"[3] أى قاست بسببه فى حمله مشقة وتعبا من وحام وغثيان وثقل وكرب إلى غير ذلك مما تناله الحوامل من التعب والمشقة ووضعه كرها بمشقة الطلق وشدته"[4] .

وقدرت السنة المطهرة مكانة الأم وما عانته من مشقة وتعب وإرهاق فعن أبي هريرة – رضى الله عنه – قال : جاء رجل إلى رسول الله – صلي الله عليه وسلم – فقال يا رسول الله من أحق الناس بحسن صحابتي ؟ قال : أمك . قال : ثم من ؟ قال : أمك ، قال ثم من ؟ . قال : أمك، قال ثم من ؟ قال أبوك"[5] .

" **وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ** " أى تربيته وإرضاعه بعد وضعه فى عامين كما قال الله تعالي "**وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ**" [6] .

وقال تعالي "**وَحَمْلُهُ وَفِصَالُه**" أى ومدة حمله وفطامه **ثَلاثُونَ شَهْراً** " .

فيه دليل على أن أقل مدة الحمل ستة أشهر لأن مدة الرضاع إذا كانت حولين بقي للحمل ستة اشهر وبه قال أبو يوسف ومحمد رحمهما الله ، وقال الإمام أبو حنيفة المراد به الأكف"[7] .

وقال الإمام على بن أبي طالب أقل الحمل ستة أشهر لأن الله تعالي قال " **وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلاثُونَ شَهْراً**"[8] . وقال تعالي "**وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ**

---

[1] زاد المسير فى علم التفسير ج85/3 ، الجامع لأحكام القرآن للإمام القرطبي ج49/14، ما نصه "حملته فى بطنها وهى تزداد كل يوم ضعفا على ضعف وقيل المرأة ضعيفة الخلقة ثم يضعفها الحمل .

[2] تفسير الإمام النسفي ج218/2 ، تفسير الإمام ابن كثير ج199/4

[3] سورة (الأحقاف) آية (15)

[4] تفسير الإمام ابن كثير ج199/4

[5] أخرجه الإمام البخاري فى كتاب الأدب باب من أحق الناس بحسن الصحبة ج69/4 ، وأخرجه الإمام مسلم فى كتاب البر والصلة – باب بر الوالدين وأنهما أحق به ج620/2 ، وأخرجه الإمام أبو داود فى كتاب الأدب باب فى بر الوالدين ص 853 ، بلفظ " عن بهز بن حكم عن أبيه عن جده قلت يا رسول الله من أبر ؟ قال :أمك ، ثم أمك ثم أمك ثم أباك ثم الأقرب فالأقرب ، وأخرجه الإمام الترمذى فى كتاب البر والصلة باب ما جاء فى بر الوالدين ص 504

[6] سورة (البقرة) آية (233)

[7] تفسير الإمام النسفى ج553/2

[8] سورة (الأحقاف) آية (15)

الرَّضَاعَةَ" [1] . فإذا أسقطت حولين من ثلاثين شهراً بقيت منه ستة أشهر وهى مدة الحمل . وهذا من بديع الاستنباط [2] .

ويقول الشيخ محمود شلتوت "إن الآيات الثلاث أصلا تشريعيا لأكثر مدة الرضاع حولين كاملين وأقل مدة الحمل هو ستة أشهر بعد إسقاط مدة الرضاع من مدة الحمل والفصال الواردة فى سورة الأحقاف " **وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلاثُونَ شَهْراً**" وعلى ذلك أن الولد الذى يجئ لأقل من ستة أشهر بعد الدخول يكون غير ثابت النسب إلى الزوج" [3] .

" **أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ** " أى أشكر ربك على نعمة الإيجاد والإيمان وأشكر والديك على نعمة التربية والإنفاق والتعليم قال الإمام الرازي خص الله – عزّ وجلّ – الأم بالذكر من الحمل والرضاع والتعب والعناء والشقاء ، فإن الأب حمله في صلبه سنين ورباه بكسبه سنين فهو أبلغ"[4] .

وقال ابن عيينه من صلي الصلوات الخمس فقد شكر الله ومن دعا للوالدين فى أدبار الصلوات الخمس فقد شكرهما"[5] .

" **إِلَيَّ المَصِيرُ** " أى مصيرك إلىّ وحسابك علىّ .

ويقول الإمام الرازي عند تفسير قوله تعالي " **أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ** " لما كان الله تعالي بفضله جعل من الوالدين صورة ما من الله فإن الوجود فى الحقيقة من الله وفى الصورة يظهر من الوالدين جعل "الشكر بينهما فقال" **أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ** " ثم بين الفرق فقال " **إِلَيَّ المَصِيرُ** " يعني نعمتهما مختصة بالدنيا ونعمتي في الدنيا والآخرة فإن إلى المصير لما أمر بالشكر لنفسه وللوالدين قال الجزاء على وقت المصير إلىّ"[6] .

" **وَإِن جَاهَدَاكَ عَلَى أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلاَ تُطِعْهُمَا** " قال جمهور المفسرين إن الآية الكريم نزلت فى سعد بن أبي وقاص حين اسلم فقالت أمه يا سعد ما هذا الدين الذى قد

---

[1] سورة (البقرة) آية (233)

[2] أحكام القرآن لابن العربي ج245/1 ، تفسير ابن كثير ج199/4

[3] تفسير العشر الأجزاء الأولي للإمام الأكبر الشيخ محمود شلتوت ص 319

[4] مفاتيح الغيب للإمام الرازي ج126/21

[5] تفسير الإمام النسفى ج318/2

[6] مفاتيح الغيب للإمام الرازي ج129/21 ، تفسير الإمام ابن كثير ج554/30 ، تفسير الإمام النسفى ج318/2، صفوة التفاسير للشيخ الصابوني ج492/3 يقول ما نصه "إلىّ المرجع والمآب فأجازى المحسن على إحسانه والمسيئ على إساءته " .

أحدثت لتدعن دينك هذا أولا آكل ولا أشرب حتى أموت فتعير بي ويقال لك يا قاتل أمه ، وامتنعت عن الطعام والشراب لمدة ثلاثة أيام ثم دخل عليها سعد فقال لها يا أمه لو كانت لك مائة نفس فخرجت نفسا نفساً ما تركت ديني هذا لشئ فإن شئت فكلي وإن شئت فلا تأكلي فلما رأت ذلك أكلت[1] . فالمجاهدة شدة السعي والإلحاح فى دعوتك إلى الشرك بي فلا تطعهما"[2] .

فالحالة الخاصة التى يباح فيها للإنسان عصيان والديه وعدم امتثال أمرهما حالة مجاهدتهما لولدهما لأن يشرك بربه ما ليس له به علم وهذا اقصي ما يمكن فى مثل هذه الحالة من أحكام دين جاء لمحو الشرك والوثنية وتقرير أن العباده لله حده"[3] فلا طاعة لأحد فى معصية الله عزّ وجلّ لما فيه من المفسدة الموبقة فى الدارين أو في أحدهما فمن أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة له[4] فطاعة الوالدين واجبة ما لم يكن فيها ترك طاعة الله . فإذا أفضي إليه فلا تطعهما[5] . تطعهما[5] .

" **وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفاً** " يقول الإمام القرطبي : الآية دليل على صلة الأبوين الكافرين بما أمكن من المال إن كانا فقيرين

وإلانه القول والدعاء إلى الإسلام برفق"[6] ويقول المولى – عزّ وجلّ – " **لاَ يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوَهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ المُقْسِطِينَ**" [7]

وورد فى سبب نزول الآية الكريمة أن أسماء بنت أبي بكر – رضي الله عنهما قالت: أتتني أمى راغبة فى عهد النبي – صلي الله عليه وسلم – فسألت النبي – صلي الله عليه وسلم "أصلها" قال نعم"[8] .

---

[1] أسباب النزول لأبي الحسن على بن أحمد الواحدى النيسابورى ص197–198 ط دار المنار 2001م ، كتاب النقول فى أسباب النزول للإمام السيوطي ص209–210 ط مكتبة الصفا 2002

[2] التحرير والتنوير لابن عاشور ج160/8 ، تفسير الإمام ابن كثير ج554/3 يقول ما نصه : فإن حرصا عليك كل الحرص على أن تتبعهما على دينهما فلا تقبل منهما ذلك ولا يمنعك أن تصاحبهما فى الدنيا معروفا محسنا إليهما.

[3] تفسير الشيخ محمود شلتوت ص 317

[4] قواعد الأحكام للعز بن عبد السلام ج103/2

[5] مفاتيح الغيب للإمام الرازي ج129/21 ، تفسير الإمام ابن كثير ج554/3

[6] الجامع لأحكام القرآن للإمام القرطبي ج50/14

[7] سورة (الممتحنة) آية (8)

[8] أخرجه الإمام البخارى فى كتاب الأدب باب صلة الوالد المشرك ج71/4 لباب النقول فى أسباب النزول للإمام السيوطي السيوطي ص210 ما نصه "عن عبد الله بن الزبير قال : قدمت قتيلة على ابنتها أسماء بنت أبي بكر الصديق وكان

" **وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ**" هو الاقتداء بسيرة المنيبين لله الراجعين إليه . والمراد بمن أناب المقلعون عن الشرك وعن المنهيات التى منها عقوق الوالدين . وهم الذين يدعون إلى التوحيد ومن اتبعوهم فى ذلك[1] ويرى الإمام الرازي أن مصاحبة الأبوين الكافرين إنما تكون بالجسم ، وأن يتبع سبيل النبي – صلي الله عليه وسلم – فإنه مربي عقلك"[2] .

" **ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ**" أى مرجعك ومرجعهما إلىّ فأجازيك على إيمانك وأجازيهما على كفرهما . وقد اعترض بهاتين الآيتين على سبيل الاستطراد تأكيداً لما فيه وصية لقمان من النهي عن الشرك يعني إنا وصيناه بوالديه وأمرناه أن لا يطيعهما فى الشرك وإن جهد كل الجهد لقبحه"[3] .

أثر العمل بطاعة الوالدين :

إن آثاراً طيبة تلحق العبد المسلم الذى يقوم ببر والديه فى الدنيا والآخرة تتمثل فيما يلي:

أولا : يستظل العبد المسلم الطائع لوالديه برضا المولي – عزّ وجلّ – فإن رضا الله من رضا الوالدين وسخط الله من سخط الوالدين – فعن عبد الله بن عمرو – رضي الله عنهما – عن النبي – صلي الله عليه وسلم – قال " رضا الرب من رضا الوالد وسخط الرب من سخط الوالد"[4] . كما ثبت أن طاعة الوالدين من أحب الأعمال إلى الله – عزّ وجلّ – فحينما سئل رسول الله – صلي الله عليه وسلم– أى العمل أحب إلى الله ؟ قال الصلاة لوقتها وثم أى" قال "بر الوالدين"[5] .

ثانيا : إن طاعة الوالدين لها ثواب جزيل تلحق العبد المسلم فى الآخرة . فعن ابي هريرة – رضى الله عنه – قال ": قال رسول الله رغم أنفه رغم أنفه رغم انفه قيل من يا رسول الله ؟ قال "من أدرك والديه عند الكبر أحدهما أو كليهما ثم لم يدخل الجنة"[6] .

أبو بكر طلقها فى الجاهلية فقدمت على ابنتها بهدايا فأبت أسماء ان تقبل منها أو تدخلها منزلها حتى أرسلت إلى عائشة أن سلي عن هذا رسول الله صلي الله عليه وسلم فأخبرته فأمرها أن تقبل هداياها وتدخلها منزلها "

[1] التنوير والتحرير لابن عاشور ج161/8 ، تفسير الإمام النسفى ج318/2–319

[2] مفاتيح الغيب للإمام الرازي ج129/21 ، زاد الميسر فى علم التفسير ج85/3 ، حيث ذكر ثلاثة أقوال في معني قوله تعالي "واتبع سبيل من أناب إلىّ" الأول : الصديق قيل لسعد اتبع سبيله فى الإيمان ، والثاني : أنه رسول الله – صلي الله عليه وسلم – الثالث من سلك طريق محمد صلي الله عليه وسلم .

[3] تفسير الإمام النسفى ج318/2

[4] سنن الإمام الترمذى كتاب البر والصلة باب ما جاء فى ب الوالدين ص 504

[5] أخرجه الإمام البخارى فى كتاب الآداب – باب البر والصلة ج69/4

[6] صحيح مسلم كتاب البر والصلة باب رغم أنف من أدرك أبويه أو أحدهما عند الكبر فلم يدخل الجنة ج623/2

ثالثا : إن طاعة الوالدين والعمل على برهما والإحسان إليهما تعدل الجهاد فى سبيل الله فعن عبد الله بن عمرو قال : قال رجل للنبي – صلي الله عليه وسلم – أجاهد ؟ قال "لك أبوان" قال نعم قال "ففيهما فجاهد"[1] .

رابعا : فى ظل طاعة الوالدين نبني الأسرة على تبادل الحب والإحسان وتبادل الحقوق والواجبات وبذلك تكون الأسرة منبعا لرجال تنتفع بهم أمتهم وتتكون الأمة من أسر كريمة لا تعرف الذل ولا الظلم ولا الإرهاق ولا العنت"[2] .

---

[1] أخرجه الإمام البخارى فى كتاب الأدب باب لا يجاهد إلا بإذن الأبوين ج69/4

[2] تفسير الإمام الأكبر الشيخ محمود شلتوت ص 318

علم الله – عزّ وجلّ
بدقائق وصغائر الأمور

قال تعالي " **يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَوَاتِ أَوْ فِي الأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ** "[1]

ذهب أكثر علماء التفسير إلى أن المراد من قوله تعالي " **يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ**" أى أصغر شئ من الحسنات أو السيئات يأتي بها المولي – عزّ وجلّ – للحساب والجزاء يوم القيامة .

ويقول الإمام الرازي إن الحسنة والسيئة إن كانت فى الصغر مثل حبة خردل فتكون فى موضع حريز كالصخرة "فتكن" الفاء لإفادة الاجتماع يعني إن كانت صغيرة ومع صغرها تكون خفية في موضع حريز كالصخرة لا تحفي على الله ؛ لأن الفاء للاتصال والتعقيب"[2].

وخفاء الشئ يكون فى غاية الصغر أو يكون بعيداً أو فى ظلمة أو يكون من وراء حجاب ، فإن انتفت الأمور بأسرها بأن يكون كبيرا قريبا فى ضوء من غير حجاب فلا يخفي فى العادة"[3] .

" **يَأْتِ بِهَا اللَّهُ**" أحضرها الله يوم القيامة حين يضع الموازين القسط وجازى عليها إن خيراً فخير وإن شراً فشر"[4] .

قال تعالي " **وَنَضَعُ المَوَازِينَ القِسْطَ لِيَوْمِ القِيَامَةِ فَلاَ تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئاً وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ**" [5].

وقال تعالي " **فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ المُفْلِحُونَ . وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُوْلَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ**" [6] وقال تعالي " **وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ. فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ. وَمَا أَدْرَاكَ مَاهِيَهْ. نَارٌ حَامِيَةٌ**" [7].

---

[1] سورة (لقمان) آية (16)

[2] مفاتيح الغيب للإمام الرازي ج130/21 ، الجامع لأحكام القرآن للإمام القرطبي ج51/14 ما نصه " إن ابن لقمان سأل أباه عن الحبة التى تقع في أسفل البحر أيعلمها الله ؟ فراجعه لقمان بهذه الآية وقيل المعني أنه أراد بالأعمال المعاصي والطاعات أن تك الحسنة أو الخطيئة مثقال حبة يأت بها الله "زاد المسير في علم التفسير ج86/3 .

[3] مفاتيح الغيب ج130/21 ، تفسير الإمام النسفى ج319/2

[4] تفسير الإمام ابن كثير ج555/3

[5] سورة (الأنبياء) آية (47)

[6] سورة (المؤمنون) آية (102–103)

[7] سورة (القارعة) الآيات (6–11)

وقال علماء التفسير إن الميزان له كفتان ولسان وإنما جمع الموازين لتعظيم شأنها[1] وقال الإمام ابن أبي العز الحنفي : "يحتمل أن ثم موازين متعددة توزن فيها الأعمال ، ويحتمل أن يكون المراد الموزونات تجمع باعتبار تنوع الأعمال الموزونة"[2] .

كما أن الوزن يشمل كل الأعمال حتى لو كان الموزن شيئا يسيراً كالذارة والحبة الصغيرة من الخردل مصداقا لقوله تعالي " **فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ. وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَراً يَرَهُ**"[3] وقال تعالي : " **وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ**"[4].

الشئ الموزون بالميزان :

إن الذى يوضع فى الميزان يوم القيامة قيل الأعمال وإن كانت أعراضا إلا أن الله يقلبها يوم القيامة أجساما كما ثبت فى الصحيح عن أبي إمامه الباهلي قال سمعت رسول الله – صلي الله عليه وسلم – يقول "اقرءوا الزهراوين البقرة وآل عمران فإنهما يأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان أو كأنهما غيابتان أو كأنهما فرقانا من طير صواف تحاجان عن أصحابهما"[5].

وقيل يوزن كتاب الأعمال كما ورد فى حديث صاحب البطاقة الذى رواه عمرو بن العاصي – رضي الله عنه – عن رسول الله – صلي الله عليه وسلم ، أن الله عزّ وجلّ يستخلص رجلا من أمتي على رؤوس الخلائق يوم القيامة فينشر له تسعة وتسعون سجلا كل سجل مد البصر ثم يؤتي بتلك البطاقة فيها"لا إله إلا الله – فيقول يا رب وما هذه البطاقة مع هذه السجلات؟ فيقول الله تعالي :إنك لا تظلم فتوضع تلك البطاقة فى كفة الميزان قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فطاشت السجلات وثقلت البطاقة"[6] .

وقيل يوزن الرجل مع عمله فعن أبي هريرة – رضى الله عنه – عن رسول الله – صلي الله عليه وسلم قال "إنه ليأتي بالرجل العظيم السمين يوم القيامة لا يزن عند الله جناح بعوضة[7] . وقال اقرءوا " **فَلاَ نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ القِيَامَةِ وَزْناً** "[1] .

---

[1] تفسير الإمام النسفى ج60/2 ، تفسير ابن كثير ج228/3 ، ما نصه الأكثر على أنه ميزان واحد وإنما جمع باعتبار تعدد الأعمال الموزونه فيه .

[2] شرح العقيدة الطحاوية لابن أبى العز الحنفي ص417

[3] سورة (الزلزلة) آية (7–8)

[4] سورة (الأنبياء) آية (103)

[5] أخرجه الإمام مسلم فى كتاب صلاة المسافرين باب فضل قراءة القرآن وسورة البقرة ج388/1

[6] مسند الإمام أحمد بن حنبل ج213/2–222

[7] أخرجه الإمام البخارى فى كتاب تفسير القرآن باب قوله تعالي "أولئك الذين كفروا بآيات ربهم ولقائه فحبطت أعمالهم فلا فلا نقيم لهم يوم القيامة وزناً ، ص 213/3

وقال الإمام ابن كثير – رحمه الله – ويمكن الجمع بين هذه الآثار يكون ذلك كله صحيحا فتارة توزن الأعمال وتارة توزن محالها وتارة يوزن فاعلها[2] .

وأرى أن الميزان من أمور الآخرة التى يجب الإيمان بها إيماناً جازماً وتفويض حقيقة الشئ الموزون إلى رب العالمين قال تعالي " **الْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لاَ ظُلْمَ اليَوْمَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الحِسَابِ**" [3] .

ويبين رسول الله – صلي الله عليه وسلم – ما يثقل ميزان العبد يوم القيامة فعن أبي هريرة – رضى الله عنه – عن النبي – صلي الله عليه وسلم قال "كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان فى الميزان حبيبتان للرحمن سبحان الله العظيم سبحان الله وبحمده"[4] وعن أبي مالك الأشعري قال : قال رسول الله – صلي الله عليه وسلم – "الطهور شطر الإيمان والحمد لله تملأ الميزان والصلاة نور والصدقة برهان والصبر ضياء والقرآن حجة لك أو عليك وكل الناس يغدو فبائع نفسه فمعتقها أو موبقها"[5] .

---

[1] سورة (الكهف) آية (105)

[2] تفسير الإمام ابن كثير ج228/3

[3] سورة (غافر) آية (17)

[4] أخرجه الإمام البخارى فى كتاب الدعوات باب فضل التسبيح ج261/4 ، وأخرجه الإمام مسلم فى كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار باب فضل التسبيح والدعاء ج688/2 بلفظ "عن ابي هريرة – رضي الله عنه – قال : قال رسول الله صلي الله عليه وسلم "كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان فى الميزان حبيبتان للرحمن سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم " .

[5] أخرجه الإمام مسلم فى كتاب الطهارة باب فضل الوضوء ج129/1

أثر العمل بهذه الوصية :

إذا علم العبد أن ما يقوم به من أعمال تحصي عليه وتكتب فى ديوان حسناته وسيئاته قال تعالي : " **مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلاَّ لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ**" [1] فإن ذلك يدفعه إلى فعل الخيرات وترك المنهيات وحسن مراقبة المولي – عزّ وجلّ – وإخلاص العمل لوجهه الكريم – كما أن مراقبة الله – تبارك وتعالي فى السر والعلن تؤدي إلى سعادة العبد المسلم فى الدنيا والآخرة ، ففي دنياه يعيش عيشة مطمئنة واثقا برضا مولاه ، وفى الآخرة يسعد بجنة عرضها كعرض السموات والأرض فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر .

إقامة الصلاة

بعد أن دعا لقمان ابنه إلى توحيد الله – عزّ وجلّ – ونهاه عن الشرك انتقل إلى تعليمه أصول الأعمال الصالحة فابتدأها بإقامة الصلاة ، وهي التوجه إلى الله تبارك وتعالي بالخضوع والتسبيح والدعاء فى أوقات معينة فى الشريعة التى يدين بها لقمان ، والصلاة عماد الأعمال لاشتمالها على الاعتراف بطاعة الله بطلب الاهتداء للعمل الصالح، وإقامة الصلاة وإدامتها والمحافظة على أدائها فى أوقاتها" .

فرسل الله عليهم السلام حملوا لقومهم راية التوحيد والإيمان ودعو أقومهم إلى عباده الله وحده قال تعالي:"**وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلاَّ نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدُونِ** "[2] ثم أمروهم بعد التوحيد بأفضل الأعمال ألا وهي الصلاة .

فخليل الرحمن إبراهيم عليه السلام– دعا ربه قائلا " **رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلاةِ وَمِن ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ**"[3] وقال تعالي : " **وَاذْكُرْ فِي الكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الوَعْدِ وَكَانَ رَسُولاً نَّبِياً. وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عَندَ رَبِّهِ مَرْضِياً**" [4] ولما بعث الله – عزّ وجلّ – موسي رسولا ونبيا إلى بني إسرائيل أمره بإقامة الصلاة قال تعالي " **إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلاةَ لِذِكْرِي**" [5] .

---

[1] سورة (ق) آية (18)

[2] التحرير والتنوير ج164/8، مفاتح الغيب للإمام الرازي ج130/21 ، يقول ما نصه "لما منعه من الشرك وخوفه بعلم الله وقدرته أمره بما يلزمه من التوحيد وهو الصلاة العبادة لوجه الله مخلصا .

[3] سورة (الأنبياء) آية (25)

[4] سورة (مريم) آية (54–55)

[5] سورة (طه) آية (14)

وقال تعالي " **وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتاً وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ**" [1] .

قال قوم شعيب لشعيب – عليه السلام – منكرين عليه إقامة الصلاة قال تعالي " **قَالُوا يَا شُعَيْبُ أَصَلاتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ إِنَّكَ لأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ**" [2] .

وقال تعالي على لسان عيسي ابن مريم عليه السلام " **وَأَوْصَانِي بِالصَّلاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَياً** " [3] فالصلاة عباده قديمة فرضت على الأمم في الديانات السماوية إلا أن هيئاتها وأركانها وأوقاتها تختلف من أمة إلى أمة كما قال تعالي " **لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجاً**"[4] وقال تعالي : " **ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِّنَ الأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا**" [5] .

والصلاة فى الشريعة الإسلامية لها منزلة عظيمة ومكانة سامية فهى الركن الثاني من أركان هذا الدين الحنيف بعد توحيد الله عزّ وجلّ فعن ابن عمر – رضى الله عنهما – قال : قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – بنى الإسلام على خمس شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة والحج وصوم رمضان[6] ويقول الله تعالي " **إِنَّ الصَّلاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَاباً مَّوْقُوتاً**" [7] وقال تعالي " **حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ لِلَّهِ قَانِتِينَ**" جاءت الصلاة مجملة فى كتاب الله عزّ وجلّ – وبين رسول الله – صلي الله عليه وسلم – هذا الإجمال يقول الإمام الشافعي رحمه الله تعالي "أحكم الله فرضه فى كتابه فى الصلاة والزكاة والحج وبين كيف فرضه على لسان نبيه – فأخبر رسول الله – صلي الله عليه وسلم – أن عدد الصلوات المفروضات خمس ، وأن عدد الظهر والعصر والعشاء فى الحضر أربع وعدد المغرب ثلاثة وعدد الصبح ركعتان ، وسن فيها كلها قراءة ، وسن أن الجهر منها بالقراءة فى

---

[1] سورة (يونس) آية (87)

[2] سورة (هود) آية (87)

[3] سورة (مريم) آية (31)

[4] سورة (المائدة) آية (48)

[5] سورة (الجاثية) آية (18)

[6] أخرجه الإمام البخارى فى كتاب الإيمان باب دعاؤكم إيمانكم ج11/1

[7] سورة (النساء) آية (103)

المغرب والعشاء والصبح وأن الخافته بالقراءة الظهر والعصر وسن أن الفرض فى الدخول فى كل صلاة بتكبير والخروج منها بتسليم [1].

وأمر المولي – عزّ وجلّ – بالمحافظة عليها فقال تعالي : " **حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلاةِ الوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ**" [2] والصلاة الوسطي هى صلاة العصر فعن على – رضى الله عنه قال لما كان يوم الأحزاب قال رسول الله – صلي الله عليه وسلم – وملأ الله بيوتهم وقبورهم ناراً شغلونا عن الصلاة الوسطي حتى غابت الشمس"[3].

وقال الإمام ابن قيم الجوزية "إن الصلاة الوسطي هى صلاة العصر"[4] وامتدح القرآن المؤمنين قال تعالي : " **قَدْ أَفْلَحَ المُؤْمِنُونَ. الَّذِينَ هُمْ فِي صَلاتِهِمْ خَاشِعُونَ**" [5] أى خائفون بالقلب ساكنون بالجوارح ، وقيل أن الخشوع فى الصلاة جمع الهمة والأعراض عما سواها وأن لا يجاوز بصره مصلاه وألا يلتفت ولا يعبث ولا يفرقع أصابع ولا يقلب الحصي"[6] كما أن من صفات صفات المؤمنين المحافظة والمداومة على أداء الصلاة فى مواقيتها قال تعالي " **الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ**"[7].

وهدد القرآن الكريم الذين يؤخرون الصلاة عن أوقاتها الشرعية فقال تعالي :" **فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ. الَّذِينَ هُمْ عَن صَلاتِهِمْ سَاهُونَ**"[8] وفسر رسول الله صلي الله عليه وسلم الآية الكريمة بأنهم الذين يؤخرون الصلاة عن وقتها"[9] فيجب على ولى الأمر أن يضرب المتهاون فى أداء فريضة الصلاة إذا بلغ الصبي عشر سنين فعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال : قال

---

[1] الرسالة للإمام محمد بن أدريس الشافعي ص 175–176

[2] سورة (البقرة) آية (238)

[3] أخرجه الإمام البخارى فى كتاب الجهاد والسير باب الدعاء على المشركين بالهزيمة ج235/2

[4] أعلام الموقعين ج277/2

[5] سورة (المؤمنون) آية (1–2)

[6] تفسير الإمام النسفى جـ2 / 128 .

[7] سورة (المؤمنون) آية (9)

[8] سورة (المعاون) آية (4–7)

[9] الإتقان فى علوم القرآن ج256/4

رسول الله –صلي الله عليه وسلم مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع وأضربوهم عليها وهم أبناء عشر وفرقوا بينهم فى المضاجع"[1] .

[1] أخرجه أبو داود فى كتاب الصلاة باب متى يؤمر الغلام بالصلاة ص88، وأخرجه الإمام الترمذى فى كتاب الصلاة باب ما جاء متى يؤمر الصبي بالصلاة ص119 بلفظ علموا الصبي الصلاة ابن سبع واضربوه عليها ابن عشر ، وقال حسن صحيح .

أثر العمل بالوصية :

بعد أن غرس لقمان فى ابنه عقيدة التوحيد والإيمان بالله – عزّ وجلّ – والنهي عن الشرك جاءت نصائحه إلى أهم العبادات فأوصاه بإقامة الصلاة لله – رب العالمين – فهي عماد الدين فى جميع الرسالات السماوية التى افترضها الله عزّ وجلّ – على عباده ، وأن اختلفت هيئاتها وأركانها ومواقيتها فى الشرائع السماوية إلا أن مقصدها واحد وهو عباده الله تبارك وتعالي – والصلاة فى الشريعة الإسلامية من أعظم القربات التى يتقرب بها العبد إلى مولاه ، فهي عماد الدين من أقامها أقام الدين لما اشتملت عليه من توحيد ودعاء وذكر وركوع وسجود وخشوع لله – عزّ وجلّ – كما أن الصلاة التى تؤدي بخشوع وإخلاص لله رب العالمين تحجب صاحبها عن الفواحش والموبقات والآثام وتغرس فيه الإخلاص وحسن المعاملة ومراقبة الله فى السر والعلن .

قال تعالي : " **إِنَّ الصَّلاةَ تَنْهَى عَنِ الفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ**" [1] .

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر :

بعد أن أوصي لقمان ابنه بإقامة الصلاة لله رب العالمين حثه على فعل الخيرات وترك المنكرات بين أبناء مجتمعه الذى يعيش فيه يكون آمراً بالمعروف وناهينا عن كل منكر وقبيح .

والمراد بالمعروف هو كل قول أو فعل أو قصد حسنه الشارع وأمر به ، والمنكر كل قول أو فعل أو قصد قبحه الشارع أو نهي عنه[2] .

وقال الإمام ابن كثير " إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يكون بحسب طاقتك وجهدك"[3] .

ويقول الإمام الرازي عند تفسير قوله تعالي " **وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ**" وإذا كملت فى نفسك بعباده الله فكمل غيرك فإن شغل الأنبياء وورثتهم العلماء أن يكملوا فى أنفسهم ويكملوا غيرهم[4] .

وشمل الأمر بالمعروف الأتيان بالأعمال الصالحة كلها على وجه الأجمال ليتطلب بيانه فى تضاعف وصايا أبيه كما شمل النهي عن المنكر اجتناب الأعمال السيئة[5] .

---

[1] سورة (العنكبوت) آية (45)

[2] موسوعة الفقه الإسلامي المعاصر ج326/2

[3] تفسير الإمام ابن كثير ج555/3

[4] تفسير الإمام الرازي ج131/21

[5] التنوير والتحرير ج165/8

واتصفت الأمة المحمدية بأنها خير الأمم لأنها تتصف بصفة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر قال تعالي :" **كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ**" [1] .

ومن صفات المؤمنين أنهم يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر قال تعالي :" **وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ المُنكَرِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ المُفْلِحُونَ**"[2].

وقال تعالي :" **وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ**" [3] .

وبينت السنة المطهرة على صاحبها أفضل الصلاة وأتم التسليم قواعد تغيير المنكر فعن ابي سعيد الخدرى – رضى الله عنه – قال سمعت رسول الله – صلي الله عليه وسلم يقول " من رأى منكم منكراً فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان"[4] .

فيشير هذا الحديث إلى أن قواعد تغيير المنكر تكون بأحد ثلاثة :

الأول : التغيير باليد إنما يكون ممن له سلطة الولاية كولي الأمر له أن يصدر من القرارات التى تلزم المجتمع بالسير عليها .

وكذلك أحد الوالدين له أن يضرب الصغير على تلقي العلم وعلى إقامة الصلاة والصوم.

الثاني : التغيير باللسان يكون نصحا وإرشاداً بالقول اللين : قال تعالي :" **ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الحَسَنَةِ**"[5] وعندما أرسل الله – عزّ وجلّ – موسي وأخاه هارون إلى فرعون اللعين أمرهما بأن يقولا له قولا سهلا لينا قال تعالي : " **فَقُولا لَهُ قَوْلاً لَّيِّناً لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى**" [6] .[6]

---

[1] سورة (آل عمران) آية (110)

[2] سورة (آل عمران) آية (104)

[3] سورة (التوبة) آية (71)

[4] صحيح مسلم كتاب الإيمان باب كون النهي عن المنكر من الإيمان ج36/1، وأخرجه أبو داود فى كتاب الملاحم باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ص 720

[5] سورة (النحل) آية (125)

[6] سورة (طه) آية (44)

الثالث : أن يكون التغير بالقلب وذلك أضعف مراحل التغيير والأمة التى تتخاذل عن تغيير المنكر ويكون فى مقدورها التغيير تكون آثمة قال تعالي : " **لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ . كَانُوا لاَ يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ**" [1] .

وهذا ما أكده رسول الله – صلي الله عليه وسلم – إن أول ما دخل النقص على بني اسرائيل كان الرجل يلقي الرجل فيقول : يا هذا اتق الله ودع ما تصنع فإنه لا يحل لك ثم يلقاه فى الغد فلا يمنعه ذلك أن يكون أكيله وشريبه ، وقعيده ، فلما فعلوا ذلك ضرب الله قلوب بعضهم ببعض"[2] .

وعن ابن جرير عن جرير قال سمعت رسول الله – صلي الله عليه وسلم – يقول : "ما من رجل يكون فى قوم يعمل فيهم بالمعاصي يقدرون على أن يغيروا عليه فلم يغيروا إلا أصابهم الله بعذاب قبل أن يموتوا"[3] .

وعن حذيفة بن اليمان – رضى الله عنه – عن النبي – صلي الله عليه وسلم – قال "والذى نفسي بيده لتأمرون بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقاباً ثم تدعونه فلا يستجاب لكم"[4] .

شروط الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر :

تتمثل هذه الشروط فيما يلي :

---

[1] سورة (المائدة) آية (78–79)

[2] سنن أبي داود كتاب الملاحم باب الأمر والنهي ص720–721 ، وأخرجه ابن ماجه فى كتاب الفتن باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ص 417

[3] سنن أبي داود كتاب الملاحم باب الأمر والنهي ص 721 ، وأخرجه الإمام الترمذى فى كتاب الفتن باب ما جاء فى نزول العذاب إذا لم يغير المنكر ص569 بلفظ عن قيس بن أبي حازم عن أبي بكر الصديق – رضى الله عنه – قال "يا أيها الناس إنكم تقرءون هذه الآية " يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم" (المائدة 105) وإني سمعت رسول الله صل الله عليه وسلم يقول إن الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه أوشك أن يعمهم الله بعقاب " قال أبو عيسي وفى الباب عائشة وأم سلمة والنعمان بن بشير وعبد الله بن عمر وحذيفة ، وهذا حديث صحيح .

[4] سنن الترمذى كتاب الفتن باب ما جاء فى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ص571 ، وقال أبو عيسي هذا حديث حسن

أولا : العلم بالشريعة الإسلامية والفقه بها فقها ذكيا والحزم فى تنفيذ أحكامها على المخالفين حزما لا تضيع معه الفائدة الإصلاحية العامة .

ثانيا : العفة عما بأيدي الناس من الأموال التورع عن الهدايا ولا سيما الهدايا المشبوهة والرشاوي الصريحة وغير الصريحة .

ثالثا : سلوك الأمر بالمعروف والناهي عن المنكر فمظهره وطلاقه وجهه ولين أخلاقه فكل هذه الصفات تسهل أداء مهمته[1] .

رابعا : إن من يسلك وظيفة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يجب أن يكون ممتثلا لما أمر الله به ونهي عنه[2] .

وحذرت السنة الذين يأمرون بالمعروف ولا يأتونه وينهون عن المنكر ويأتينه فقد ثبت فى الصحيحين عن أسامة بن زيد عن عثمان – رضى الله عنهما – قال سمعت رسول الله – صلي الله عليه وسلم– ويقول " يؤتي بالرجل يوم القيامة فيلقي فى النار فتندلق اقتاب بطنة فيدور بها كما يدور الحمار بالرحي فيجتمع إليه أهل النار فيقولون : يا فلان مالك ألم تكن تأمر بالمعروف وتنهي عن المنكر ؟ فيقول : بلي قد كنت أمر بالمعروف ولا آتيه وأنهي عن المنكر وآتيه"[3] .

خامسا : ألا يؤدي التغيير إلى منكر أشد فإذا رأى المسلم منكراً وأراد تغييره ولكن غلب على ظنه أن تغييره يؤدي إلى منكر أشد منه أو إلى منكر مساوله فإنه لا تجب عليه إزالته ولا تستحب بل تحرم إن كانت ستؤدى حتما إلى منكر أشد[4] .

أثر الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر :

وإن آثارا طيبة تلحق الأمة التى تأمر بالمعروف وتنهي عن المنكر يتمثل فيما يلي:

أولا : نشر فضيلة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يحقق هدفاً منشوداً ألا وهو صلاح المجتمع وتحليه بالفضيلة والابتعاد عن الرذيلة ، فعن أم المؤمنين عائشة – رضي الله عنها قالت

---

[1] موسوعة الفقه الإسلامي المعاصرج324/2

[2] التحرير والتنوير لابن عاشور ج166/8 " والأمر بأن يأمر بالمعروف وينهي عن المنكر يقتضي إتيان الأمر وانتهائه فى نفسه لأن الذى يأمر بفعل الخير وينهي عن فعل الشر يعلم ما في الأعمال من خير وشر ومصالح ومفاسد فلا جرم أن يتوقاها فى نفسه بالأولوية من أمره الناس ونهيه إياهم ، الجامع لأحكام القرآن الكريم للإمام القرطبي ج52/14

[3] أخرجه الإمام البخارى فى كتاب بدء الخلق باب صفة النار وأنها مخلوقة ج319/2–320 ، وأخرجه الإمام مسلم فى كتاب الزهد والرقائق باب عقوبة من يأمر بالمعروف ولا يفعله وينهي عن المنكر ويفعله ج824/2

[4] القواعد الفقهية بين الأصالة والتوجيه أ.د. محمد بكر إسماعيل ص 104 ، ط دار المنار للطبع والنشر .

– قال رسول الله – صلي الله عليه وسلم – "مروا بالمعروف وانهوا عن المنكر قبل أن تدعو فلا يستجاب لكم"[1] .

ثانيا : أن فضيلة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر جاءت فى الديانات السماوية فهذا لقمان عليه السلام بعد أن غرس العقيدة الصحيحة فى ولده وأمره بإقامة الصلاة لله رب العالمين دعاه بعد ذلك إلى نشر فضيلة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بين ربوع قومه، وهذا ما جاء به الإسلام فنالت الأمة الخيرية بين الأمم ، لأنها تأمر بالمعروف وتنهي عن المنكر .

ثالثا : إن الأمة التى تتخلي عن العمل بفضيلة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر تنتشر فيها الرذائل ويحل عليها عقاب الله – عزّ وجلّ – فعن حذيفة بن اليمان – رضى الله عنه – عن النبي – صلي الله عليه وسلم– قال :" والذى نفسي بيده لتأمرون بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقابا ثم تدعونه فلا يستجاب لكم"[2] .

فالنظر إلى المنكر بعين اللامبالاه هو استسلام للرذيلة يفسد أمر المجتمع ويعوج به طريق الناس وفى النهاية يشترك الجميع فى الإثم من جهر بالمنكر ومن سكت عنه"[3].

الصبر على المصائب

قال تعالي " **وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ** "[4] .

الصبر هو تحمل ما يحل بالمرء مما يؤلم أو يحزن" [5] .

بعد أن أوصي لقمان ابنه بإقامة الصلاة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أمره بعد ذلك بالتحلي بالصبر . قال تعالي " **وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ** " فإن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر قد يجران القائم بهما معاداة من بعض الناس أو أذى من بعض فإذا لم يصبر أوشك أن يتركهما" .

ورجح الإمام القرطبي أن المراد بالصبر فى الآية هو الصبر على شدائد الدنيا كالأمراض وغيرها وألا يخرج من الجزع إلى معصية الله عزّ وجلّ – وهذا قول حسن لأنه يعم"[6] وهذا ما أراه راجحا لما يؤيده من القرآن الكريم والسنة المطهرة حيث وجه المولي – عزّ وجلّ – عباده المؤمنين

---

[1] انفرد به ابن ماجه فى كتاب الفتن باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ص 417 وحسنه الشيخ الألباني.

[2] أخرجه الإمام الترمذى فى كتاب الفتن باب ما جاء فى نزول العذاب إذا لم يغير المنكر ص 570 ، وحسنه الإمام الترمذى فقال هذا حديث حسن .

[3] موسوعة الفقه الإسلامي ج126/2

[4] سورة (لقمان) آية (17)

[5] التحرير والتنوير لابن عاشور ج165/8 ، تفسير الإمام ابن كثير ج555/3 يقول "إن الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر لابد أن يناله من الناس أذى فأمره بالصبر" .

[6] الجامع لأحكام القرآن للإمام القرطبي ج53/14

بالاستعانة بالصبر والصلاة قال تعالي :" **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ**" [1] .

فبالصبر تنال كل فضيلة وبالصلاة تنهي عن كل رذيلة . " إن الله مع الصابرين بالنصر والمعونة" [2] .

وأخبرنا المولي – سبحانه وتعالي " أنه يبتلي عباده ويختبرهم ويمتحنهم ليميز الخبيث من الطيب والصالح من الطالح بشئ من الخوف والجوع ونقص الأموال بذهاب بعضها أو ينقصها بالزكاة والأنفس كموت الأصحاب والأقارب والأحباب وقلة الثمرات، فمن صبر أثابه المولي – عزّ وجلّ – ومن قنط أحل به عقابه"[3] .

قال تعالي : " **وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الأَمْوَالِ وَالأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ. الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ**" [4] .

وجاءت الأحاديث النبوية تبين ثواب الصبر عند نزول البلاء فعن أنس بن مالك – رضى الله عنه – قال مر النبي – صلي الله عليه وسلم – بامرأة تبكي عند قبر فقال – صلي الله عليه وسلم– اتقي الله واصبري" قالت إليك عني فإنك لم تصب بمصيبتي ولم تعرفه فقيل لها أنه النبي صلي الله عليه وسلم – فأتت باب النبي – صلي الله عليه وسلم – فلم تجد عنده بوابين ، فقالت لم أعرفك ، فقال – صلى الله عليه وسلم – "إنما الصبر عند الصدمة الأولي"[5] ، وعن مصعب عن سعد عن أبيه قال – قلت يا رسول الله صلي الله عليه وسلم أى الناس أشد بلاء ؟ قال "الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل فيبتلي الرجل على حسب دينه فإن كان فى دينه صلبا اشتد بلاؤه وإن كان فى دينه رقة ابتلي على حسب دينه فما يبرح البلاء بالعبد حتى يتركه يمشي على الأرض ما عليه خطيئة"[6] .

---

[1] سورة (البقرة) آية (153)

[2] تفسير الإمام النسفي ج92/1

[3] تفسير الإمام ابن كثير ج275/1

[4] سورة (البقرة) آية (155–156)

[5] أخرجه البخارى فى كتاب الجنائز باب زيارة القبور ج301/1، وأخرجه مسلم فى كتاب الجنائز باب الصبر على المصيبة عند الصدمة الأولي ج447/1، وأخرجه ابن ماجه فى كتاب الجنائز باب ما جاء فى الصبر على المصيبة ص 66

[6] أخرجه الإمام الترمذى كتاب الزهد باب ما جاء فى الصبر على البلاء ص 627 ، وقال أبو عيسي هذا حديث حسن صحيح وفى الباب عن أبي هريرة وأخت حذيفة بن اليمان أن النبي صلي الله عليه وسلم سئل أى الناس أشد بلاء ، قال الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل" .

وعن أبي هريرة – رضى الله عنه – قال : قال رسول الله – صلي الله عليه وسلم– "ما يزال البلاء بالمؤمن والمؤمنة فى نفسه وولده وماله حتي يلقي الله وما عليه من خطيئة"[1].

وأخرجه الإمام البخارى فى صحيحه قول الله – عزّ وجلّ – "إنما يوفي الصابرون أجرهم بغير حساب"[2] .

قال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب – رضى الله عنه – "وجدنا خير عيشاً بالصبر"وقال الله – عزّ وجلّ – عقب آية الاختبار والامتحان " **أُوْلَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُوْلَئِكَ هُمُ المُهْتَدُونَ**"[3] أى ثناء من الله عليهم ورحمة ، وقال سعيد بن جبير أى آمنه من العذاب " **وَأُوْلَئِكَ هُمُ المُهْتَدُونَ**" قال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب نعم العدلان ونعمت العلاوة "" **أُوْلَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ**" فهذا العدلان " **وَأُوْلَئِكَ هُمُ المُهْتَدُونَ**" فهذه العلاوة وهى ما توضع بين العدلين وهي زيادة فى الحمل فكذلك هؤلاء أعطوا ثوابهم وزيدوا أيضا[4] .

أثر العمل بوصية الصبر على المصائب :

إن من أهم الآثار المترتبة على العمل بوصية الصبر على المصائب يتمثل فيما يلي:

أولا : الاستسلام والرضا وعدم الجزع والندم على ما فات قال تعالي : " **مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الأَرْضِ وَلاَ فِي أَنفُسِكُمْ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ. لِكَيْلا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلاَ تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ** "[5] .

ثانيا : إن فى فصيلة الصبر والتحلي والتخلق بها من أعظم القربات التى يتقرب بها العبد المؤمن إلى الله – عزّ وجلّ – فالصبر ثوابه الجنة والمغفرة من الله لعباده الصابرين .

ثالثا : تتوافق الفضائل فى جميع الأديان السماوية فهذا لقمان ينصح ابنه بالصبر على المصائب والبلايا وهذا ما دعا إليه سيد الأولين والآخرين سيدنا محمد صلي الله عليه وسلم – فقد دعا إلى التخلق بهذه الفضائل العظيمة ومنها الصبر فإن الله عزّ وجلّ – يعطي الثواب الجزيل لمن صبر

---

[1] أخرجه الإمام الترمذى فى كتاب الزهد باب ما جاء فى الصبر على البلاء ص 627 ، وقال أبو عيسي هذا حديث حسن صحيح .

[2] سورة (الزمر) آية (10)

[3] سورة (البقرة) آية (157)

[4] تفسير الإمام ابن كثير ج275/1 ، تفسير الإمام النسفى ج92/1 يقول عند تفسير قوله تعالي "أولئك عليهم صلوات من من ربهم ورحمة" الصلاة الحنو والتعطف .

[5] سورة (الحديد) آية (22 –23)

على ما أصابه فى دنياه – قال تعالي " **وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ. الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ. أُوْلَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ**" [1] .

رابعا : إن المحن والبلايا التى تنزل بالمرء إنما هي بمثابة اختبار وامتحان من الله – عزّ وجلّ – لعباده حتى يميز الخبيث من الطيب والصادق من الكاذب والمؤمن من المنافق قال تعالي " **أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُم مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ أَلاَ إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ**"[2] ، وقال تعالي : " **الم . أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لاَ يُفْتَنُونَ**"[3] .

عزائم الأمور

قال تعالي : " **إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ** "[4] .

العزم فى اللغة :

العزم والعزيمة عقد القلب على إمضاء الأمر يقال عزمت الأمر وعزمت عليه واعتزمت[5] .

قال تعالي : "**وَإِنْ عَزَمُوا الطَّلاقَ**"[6] وقال تعالي " **وَلاَ تَعْزِمُوا عُقْدَةَ النِّكَاحِ**"[7] وقال تعالي :" **فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ**"[8] . " **فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْماً** "[9]

وجاء فى المصباح المنير " عزم على الشئ وعزمه عزماً ، من باب ضرب عقد ضميره على فعله ، وعزم عزيمة وعزمة ، اجتهد وجد فى أمره ، وعزيمة الله فريضة الله التى افترضها والجمع عزائم[10] .

---

[1] سورة (البقرة) الآيات (155 – 156 – 157)

[2] سورة (البقرة) آية (214)

[3] سورة (العنكبوت) آية (1 –2)

[4] سورة (لقمان) آية (17)

[5] المفردات فى غريب القرآن للراغب الأصفهانى مادة عزم ص 334 .

[6] سورة (البقرة) آية (227)

[7] سورة (البقرة) آية (235)

[8] سورة (آل عمران) آية (159)

[9] سورة (طه) آية (165)

[10] المصباح المنير للعالم أحمد بن محمد بن على المقرى العين مع الزاى وما يثلثهما مادة "عزم" ص155 ، القاموس المحيط لمحمد بن يعقوب الفيروز أبادى ص 931 ط. دار ابن الجوز 2015 .

وقال جمهور المفسرين عند تفسير قوله تعالي " **إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ**" إن إقامة الصلاة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والصبر على الأذى من عزم الأمر التى أمر بها أمر إيجاب [1] .

وقسم علماء الأصول الحكم التكليفي إلى عزيمة ورخصه . فالعزيمة عرفها بعض علماء الأصول بأنها ما لزم بإيجاب الله تعالي[2] وهذا التعريف يخرج المحرم والمكروه والمباح[3] .

وعرف الإمام الشنقيطي العزيمة بأنها الحكم الثابت من غير مخالفة دليل شرعي[4].

فهذا التعريف يشمل الواجب والمندوب والحرام والمكروه . ويقول المرحوم الأستاذ الدكتور عبد الوهاب خلاف "إن العزيمة ما شرعه الله أصالة من الأحكام العامة التى لا تختص بحال دون حال ولا بمكلف دون مكلف"[5] .

وأما الرخصة : يقول ابن نجيم الحنفي ما فرض ابتداء فهو عزيمة وما طرأ عليه التخفيف فهو رخصة"[6] .

وقيل إن الرخصة ما شرعه الله من الأحكام تخفيفا على المكلف فى حالات خاصة تقتضي هذا التخفيف، أو هى ما شرع لعذر شاق فى حالات خاصة"[7] .

والأصل فى مشروعية الرخص قوله تعالي : " **يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلاَ يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ** "[8] وقوله تعالي " **وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ**"[9] .

وتتبع الفقهاء هذه الرخص وسموها تخفيفات الشرع على النحو التالي :

---

[1] تفسير الإمام ابن كثير جـ555/3 ، التنوير والتحرير لابن عاشور جـ166/8 ، مفاتح الغيب للإمام الرازى جـ131/21 ، ، تفسير الإمام النسفى يقول عند تفسير قوله تعالى "إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ" أى مما عزمه الله من الأمور أى قطعه قطع إيجاب وإلتزام وأمر به أمراً حتماً وهو من تسمية المفعول بالمصدر وأصله من معزومات الأمور أى مقطوعاتها ومفروضاتها وهذا دليل على أن هذه الطاعة .

[2] المستصفى فى أصول الفقة للإمام الغزلى جـ/84 ، ط 1997 ، مؤسسة الرسالة بيروت لبنان .

[3] شرح الأصول من علم الأصول للشيخ محمد صالح العثيمين ص30 – ط دار العقيدة 2002 .

[4] مذكرة فى أصول الفقه لمحمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطى ص50 ط دار العلوم والحكم 2004م ، الوجيز فى أصول الفقه أ.د. عبد الكريم زيدان ص 49 ، أصول الفقه للشيخ محمد الخضرى ص77 ط دار الحديث .

[5] علم أصول الفقه لعبد الوهاب خلاف ص 142 ط دار الحديث .

[6] الأشباه والنظائر على مذهب أبى حنيفة النعمان ص 83 تحقيق عادل سعد المكتبة التوفيقية .

[7] علم أصول الفقه لعبد الوهاب خلاف ص 142 .

[8] سورة (البقرة) آية (185)

[9] سورة (الحج) آية (78)

أ – تخفيف الإسقاط كإسقاط الجمعات والصوم والحج والعمرة بأعذار معروفات .

ب – تخفيف تنقيص كقصر الصلاة الرباعية فى السفر .

ج – تخفيف إبدال كإبدال الوضوء والغسل بالتيمم وإبدال القيام فى الصلاة بالقعود .

د – تخفيف تقديم كالجمع بين صلاتي الظهر والعصر فى عرفة .

و – تخفيف تأخير كتأخير صلاة المغرب إلى صلاة العشاء فى مزدلفة ، وكذلك فى حالات المطر والسفر .

هـ– تخفيف ترخيص كشرب الخمر للغصه وأكل الميتة عند الضرورة . [1] .

فتعريف علماء الأصول للعزيمة جاء مطابقا كما قاله علماء التفسير عند تفسير قوله تعالي : " **إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ**" فكل ما أمر الله به عباده من صلاة وصوم وحج وسائر العبادات والآداب من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والصبر على المصائب فرضه الله عزّ وجلّ – على عباده فى جميع الشرائع السماوية على وجه الإلزام .

النهي عن تصغير الخد للناس

انتقل لقمان بابنه فى معاملة الناس فنهاه أولا عن احتقارهم والتفاخر عليهم وهذا يقتضي أمره بإظهار مساواته مع الناس وعد نفسه كواحد منهم ثم نهاه ثانيا عن المشي في الأرض فرحا فخوراً متكبراً فإن الله – عزّ وجلّ – يبغض المتكبرين ثم أمره بالتوسط والاعتدال فى المشي والغض من الصوت فإن أنكر الأصوات صوت الحمير .

قال تعالي : " **وَلاَ تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ**"[2] .

فالتصغير : ميل فى الوجه أو فى أحد الشقين وهو داء يصيب البعير يلوى عنقه منه، وصعر خده تصعيرا وصاعره وأصعره ، أمال النظر عن الناس تهاونا من كبر وربما يكون خلقه[3] خلقه[3] ويقول الإمام ابن كثير عند تفسيره للآية الكريمة سالفة الذكر ولا تعرض بوجهك عن الناس

---

[1] الأشباه والنظائر على مذهب أبى حنيفة النعمان ص 38 ، قواعد الأحكام فى مصالح النسفى للحزين عبد السلام جـ6/2 جـ6/2 الأشباه والنظائر فى قواعد وفروع الشافعية للإمام جلال الدين عبد الرحمن السيوطى جـ206/1 ، أصول الفقه للشيخ محمد الخضرى ص76 ، علم أصول الفقه لعبد الوهاب خلاف ص142.

[2] سورة (لقمان) آية (18)

[3] القاموس المحيط كتاب الراء باب الصادر ص 329 .

الناس إذا كلمتهم أو كلموك احتقارا منك لهم واستكباراً عليهم، ولكن أقبل على الناس متواضعاً مؤنساً مستأنساً، وإذا حدثك أصغرهم فاصغ إليه حتى يكمل حديثه"[1] .

ويقول الإمام الرازى عند تفسير قوله تعالي : " **وَلاَ تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ**" لما أمره أن يكون كاملا فى نفسه مكملا لغيره وكان يخشي بعدهما من أمرين :

أحدهما : التكبر على الغير بسبب كونه مكملا له ، والثاني : التبختر فى النفس بسبب كونه كاملا فى نفسه"[2] .

فعن جابر بن سليم أن رسول الله صلي الله عليه وسلم قال : "لا تحقرن شيئا من المعروف وإن تكلم أخاك وأنت منبسط إليه وجهك إن ذلك من المعروف"[3] وثبت فى الصحيحين عن أنس بن مالك أن رسول الله صلي الله عليه وسلم – قال "لا تباغضوا ولا تحاسدوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله أخوانا"[4] .

فالتدابر والأعراض وترك الكلام والسلام ، وإنما قيل للاعراض تدابر لأن من أبغضته أعرضت عنه ووليته دبرك ، ومن أحببته أقبلت عليه بوجهك وواجهتك لتسره ويسرك " . فمعني التدابر موجود فيمن صعر خده"[5] .

النهي عن المشي فى الأرض مرحا:

قال تعالي : " **وَلاَ تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحاً**" [6] .

يقول الإمام ابن كثير عند تفسيره لهذه الآية أى لا تمش خيلاءً متكبراً جباراً عنيداً لا تفعل ذلك يبغضك لله" " إن الله لا يحب كل مختال فخور" أى مختال معجب فى نفسه فخور على غيره"[1] .

---

[1] تفسير النسفى ابن كثير جـ555/3 ، الإتقان فى علوم القرآن للإمام السيوطى جـ30/2 ما نصه " لا تتكبر فتحتقر عباد الله وتعرض عنهم بوجهك إذا كلموك" تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، الجامع لأحكام القرآن جـ53/14، تفسير النسفى جـ319/2.

[2] مفاتح الغيب للإمام الرازى جـ13/21 .

[3] سنن أبى داود كتاب اللباس باب ما جاء فى إسبال الإزار ص 679 .

[4] أخرجه النسفى البخارى فى كتاب الأدب باب ما ينهى عن التحاسد والتدابر جـ81/4 ، وأخرجه النسفى مسلم فى كتاب البر والصلة باب تحريم التحاسد والتباغض والتدابر جـ626/2 .

[5] الجامع لأحكام القرآن جـ54/14 .

[6] سورة (لقمان) آية (18)

وثبت فى الصحيح عن أبي هريرة – رضي الله عنه قال : قال رسول الله – صلي الله عليه وسلم " بينما رجل يمشي فى حلة تعجبه نفسه مرجل جمته إذ خسف الله به فهو يتجلجل إلى يوم القيامة"[2] .

وعن ابن عمر – رضى الله عنهما – أن رسول الله صلي الله عليه وسلم قال من جر ثوبه مخيلة لم ينظر الله إليه يوم القيامة"[3] .

وجاءت الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الصحيحة تذم المتكبرين وتتوعدهم بالعذاب الأليم فى نار جهنم .

قال تعالي : " **وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وَجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ**"[4] ، وقال تعالي " **قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ**"[5] ، وقال تعالي " **ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ**"[6] .

ومن الأحاديث الصحيحة التى توعدت المتكبرين بالعذاب الأليم يوم القيامة ما يلي:

أولا : ما روي عن حارثه بن وهب الخزاعي عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ألا أخبركم بأهل الجنة كل ضعيف متضاعف لو أقسم على الله لأبره ألا أخيركم بأهل النار ؟ كل عتل جواظ مستكبر"[7] .

---

[1] تفسير النسفى ابن كثير جـ556/3 ، مفاتح الغيب للرازى جـ131/21 ، يقول ما نصه " ولا تمش فى الأرض تبختراً فإن الله لا يحب من يكون به خيلا" والفخور من يكون متبختراً فى نفسه وهو التكبر يرى عظمة لنفسه فى عينه ، تفسير النسفى جـ319/2 ، أحكام القرآن لابن العربى جـ503/3 .

[2] أخرجه البخارى فى كتاب اللباس باب من جر ثوبه من الخيلاء جـ36/4 وأخرجه النسفى مسلم فى كتاب اللباس باب تحريم التبختر فى المشى مع إعجابه بثيابه جـ412/2 بلفظ عن أبى هريرة – رضى الله عنه – أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال : " بينما رجل يتبختر يمشى فى برديه قد أعجبته نفسه فخسف الله به الأرض فهو يتجلجل فيها إلى يوم القيامة" .

[3] أخرجه البخارى فى كتاب اللباس من جر ثوبه من الخيلاء جـ36/4 وأخرجه مسلم فى كتاب اللباس باب تحريم التبختر فى المشى جـ412/2 بلفظ عن عبد الله بن عمر – رضى الله عنهما – أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال : " إن الذى يجر ثوبه من الخيلاء لا ينظر الله إليه يوم القيامة" وفى رواية أخرى "لا ينظر الله إلى من جر ثوبه خيلاء" .

[4] سورة (الزمر) آية (60)

[5] سورة (الزمر) آية (72)

[6] سورة (غافر) آية (76)

[7] أخرجه البخارى فى كتاب الأدب باب الكبر جـ89/4 .

ثانيا : عن أبي سعيد الخدرى وأبي هريرة قالا : قال رسول الله صلي الله عليه وسلم " العز إزاره والكبرياء رداؤه فمن ينازعني عذبته"[1] .

ثالثا : عن أبي هريرة قال هناء قال رسول الله صلي الله عليه وسلم عن رب العزة الكبرياء ردائي والعظمة إزاري فمن نازعني واحداً منهما قذفته فى النار "[2] .

وعن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلي الله عليه وسلم يقول الله سبحانه الكبرياء ردائي والعظمة إزاري فمن نازعني واحداً منهما ألقيته فى النار"[3].

وعن علقمه عن عبد الله عن النبي صلي الله عليه وسلم – إن الجنة لا يدخلها من كان فى قلبه مثال ذرة من كبر"[4] .

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه – عن النبي – صلي الله عليه وسلم قال:"لا يدخل الجنةمن كان فى قلبه مثقال ذرة من كبر" قال رجل : إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسنا ونعله حسنة قال : إن الله جميل يحب الجمال الكبر بطر الحق وغمط الناس"[5] .

والمعني أن يتكبر على الحق فلا يراه حقاً ، وقيل أن يتكبر عن الحق فلا يقبله ، وقيل الارتفاع عن الناس واحتقارهم ودفع الحق وإنكاره ترفقا وتجبراً[6] .

---

[1] أخرجه الإمام مسلم فى كتاب البر والصلة والآداب باب تحريم الكبر جـ653/2 .

[2] سنن ابى داود كتاب اللباس باب ما جاء فى الكبر ص 680 .

[3] سنن ابن ماجه كتاب الزهد باب البراءة من الكبر ص 239 ، وانفرد به ابن ماجه وصححه الألبانى .

[4] أخرجه الإمام مسلم فى كتاب الإيمان باب تحريم الكبر جـ53/1 ، وأخرجه أبو داود فى كتاب اللباس باب ما جاء فى الكبر ص 680 بلفظ " لا يدخل الجنة من كان فى قلبه مثقال حبه من خردل من كبر ولا يدخل النار من كان فى قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان" ، وأخرجه الترمذى فى كتاب البر والصلة باب ما جاء فى الكبر ص 525 ، وقال أبو عيسى هذا حديث صحيح .

[5] أخرجه مسلم فى كتاب الإيمان باب تحريم الكبر جـ53/1 ، وأخرجه أبو داود فى كتاب اللباس باب ما جاء فى الكبر ص 680 بلفظ " لا يدخل الجنة من كان فى قلبه مثقال حبة من خردل من كبر ولا يدخل النار من كان فى قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان" وأخرجه الترمذى فى كتاب البر والصلة باب ما جاء فى الكبر ص 525 وقال أبو عيسى هذا حديث صحيح .

[6] سبل السلام للصنعانى جـ345/4 .

علاج الكبر :

إن علاج الكبر إنما يكون بالتواضع ولين الجانب وقبول الحق ممن كان كبيراً أو صغيراً شريفاً أو وضيعاً، والتخلق بأخلاق النبي الكريم ، صلوات الله وسلامه عليه – حيث وصف المولي عزّ وجلّ – خلقه فقال تعالي : " **وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ**" [1] ويقول العز بن عبد السلام " وأعلم أنه لا أدب كأدب رسول الله – صلي الله عليه وسلم ، ولا خلق كأخلاقه ، فمن وفقه الله – أعانه على البحث على أخلاقه والاقتداء به ليتخلق منه بما يقدر عليه ويصل إليه وما من أحد إلا وقد همّ ولمّ فيا سعادة من اقتدى به واستسن بسيرته وأخذ بطريقته وامتلأ قلبه من محبته"[2] . قال تعالي : " **قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ**"[3] .

ومن الأحاديث التى حثت على التواضع ما ورد فى الصحيح عن قنادة عن يزيد ابن عبد الله عن عياض بن حمار أنه قال : قال رسول الله – صلي الله عليه وسلم " إن الله أوحي إلىّ أن تواضعوا حتى لا يبغي أحد على أحد ولا يفخر أحد على أحد[4] .

وعن شقيق بن سلمة عن مسروق قال " دخلنا على عبد الله بن عمرو حين قدم معاوية إلى الكوفة فذكر رسول الله صلي الله عليه – فقال " لم يكن فاحشا ولا متفحشاً " وقال: قال رسول الله – صلي الله عليه وسلم " من أخيركم أحسنكم خلقاً " [5] .

الاعتدال فى المشي :

بعد أن بين لقمان لابنه آداب المعاملة مع الناس بين ما يحسن الآداب فى هيئته فأمره بالقصد في المشي وخفض الصوت فقال تعالي " **وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِن صَوْتِكَ إِنَّ أَنكَرَ الأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الحَمِيرِ** "[6] .

والقصد هو الوسط العدل بين طرفين فالقصد فى المشي أن يكون بين طرف التبخر وطرف الدبيب"[1] .

---

[1] سورة (القلم) آية (4)

[2] قواعد الأحكام للعز بن عبد السلام جـ/100 – 101 / عون المعبود شرح سنن أبى داود جـ249/8 .

[3] سورة (آل عمران) آية (31)

[4] أخرجه مسلم فى كتاب الجنة وصفة نعيمها باب الصفات التى يعرف بها فى الدنيا أهل الجنة وأهل النار جـ768/2 ، وأخرجه أبو داود فى كتاب الأدب باب فى التواضع ص 816 .

[5] أخرجه البخارى فى كتاب الأدب باب لم يكن النبى فاحشاً ولا متفحشاً جـ80/4 .

[6] سورة (لقمان) آية (19)

ويقول الإمام النسفي عند تفسير قوله تعالي " **وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ**" أى أعدل فيه حتى يكون مشيا بين مشيين لا تدب دبيب المتماوتين ولا تثب وثوب الشطار"[2] .

فالمشي باعتدال وتوسط أمر به رسول الله – صلي الله عليه وسلم – حتى عند الذهاب إلى أداء فريضة الصلاة التى هى أحب الأعمال إلى الله – عزّ وجلّ – فعن أبي هريرة – رضي الله عنه – عن النبي – صلي الله عليه وسلم – قال " إذا سمعتم الإقامة فامشوا إلى الصلاة وعليكم بالسكينة والوقار ولا تسرعوا فما أدركتم فصلوا وما فاتكم فأتموا"[3].

وفى رواية عند الإمام مسلم عن أبى هريرة – رضى الله عنه – قال : سمعت رسول الله – صلى الله عليه سلم – يقول : " إذا أقيمت الصلاة فلا تأتوها تسعون وأتوها تمشون وعليكم السكينة فما أدركتم فصلوا وما فاتكم فأتموا"[4] .

فالمشى بوسطية واعتدال أمر مطلوب يجلب لصاحبه الهيبة والوقار والاحترام حتى عند أداء فريضة الصلاة التى هى أحب الأعمال إلى رب العالمين .

الغض من الصوت :

قال تعالى : " **وَاغْضُضْ مِن صَوْتِكَ إِنَّ أَنكَرَ الأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الحَمِيرِ**"[5] الغض نقص قوة استعمال الشئ يقال : غض للرجل صوته وطرفه ومن طرفه وصوته غضاً من باب قتل خفض ومنه يقال غض من فلان غضاً وغضاضة إذا تنقصه والغضيضة النقصان وغضغضت السقاء نقصته[6] .

ويقال غض بصرة إذا خفض نظره فلم يحدق فغض الصوت جعله دون الجهر وجئ بمن الدالة على التبعيض لإفادة أن يغض بعض جهره أى ينقص من جهورته ولكنه لا يبلغ به إلى التخافت والسرار[7].

---

(1) التنوير والتحرير جـ168/8 .

(2) تفسير النسفى جـ319/2 ، زاد المسير فى علم التفسير جـ86/3 ، يقول ما نصه "ليكن مشيك قصداً لا تخيلاً ولا إسراعا" أحكام القرآن لابن العربى جـ504/3 ، الجامع لأحكام القرآن للإمام القرطبى جـ54/14 .

(3) صحيح البخارى كتاب الأذان باب لا يسعى إلى الصلاة وليأت بالسكينة والوقار جـ155/1 .

(4) أخرجه مسلم فى كتاب المساجد – باب استحباب إتيان الصلاة بوقار وسكينة والنهى عن إينانها سحباً جـ291/1 .

(5) سورة (لقمان) آية (19) .

(6) المصباح المنير باب الغين مع الضاد وما يثلثهما مادة (غض) ص 171 .

(7) التنوير والتحرير جـ168/8 .

ويقول الإمام ابن العربى عند تفسير قوله تعالى " **وَاغْضُضْ مِن صَوْتِكَ** " يعنى لا تتكلف رفع الصوت وخذ منه ما يحتاج إليه فإن الجهر بأكثر من الحاجة تكلف يؤذى[1] وفى الآية دليل على تعريف قبح رفع الصوت فى المخاطبة والملاحاة بقبح أصوات الحمير لأنها عالية .

وثبت فى الصحيح عن أبى هريرة أن النبى – صلى الله عليه وسلم – قال :"إذا سمعتم صياح الديك فأسالوا الله من فضله فإنها رأت ملكاً وإذا سمعتم نهيق الحمار فتعوذوا بالله من الشيطان فإنه رأى شيطاناً"[2] وقال سفيان الثورى صياح كل شئ تسبيح إلا نهيق الحمير .

وقال عطاء نهيق الحمار دعاء على الظلمة[3] .

" **إِنَّ أَنكَرَ الأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الحَمِيرِ** "[4].

معنى "أنكر" أقبح

نقول آتانا فلان بوجه منكر أى قبيح[5] .

---

[1] أحكام القرآن للإمام ابن العربى جـ505/3 ، الجامع لأحكام القرآن للإمام القرطبى جـ55/14 ، زاد المسبر فى علم التفسير لابن الجوزى جـ86/3 .

[2] صحيح البخارى فى كتاب بدء الخلق باب خير مال المسلم غنم يتمتع بها شعف الجبال جـ327/2 وأخرجه للإمام مسلم فى كتاب الذكر والدعاء عند صياح الديك جـ702/2 وأخرجه أبو داود وفى كتاب الأدب باب نهيق الحمير ونباح الكلاب ص848 ، وأخرجه الترمذى كتاب الدعوات باب ما يقول إذا سمع نهيق الحمار ص904 .

[3] الجامع لأحكام القرآن للإمام القرطبى جـ55/14 ، زاد المسير فى علم التفسير جـ168/3 .

[4] سورة (لقمان) آية (19)

[5] زاد المسير فى علم التفسير جـ86/3 .

ويقول الإمام النسفى عند تفسير قوله تعالى : " **إِنَّ أَنكَرَ الأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الحَمِيرِ**" أى أوحشها لأن أوله زفير وآخره شهيق كصوت أهل النار[1].

وقيل اللام للتأكيد ووحد الصوت وإن كان مضافاً إلى الجماعة ، لأنه مصدر والمصدر يدل على الكثرة وهو مصدر صات يصوت صوتاً فهو صائت [2] .

---

[1] تفسير النسفى جـ319/2 الجامع لأحكام القرآن للإمام القرطبى جـ55/14 ما نصه "هذه الآية أدب من الله تعالى بترك الصياح فى وجوه الناس تهاونا بهم أو ترك الصياح جملة وكانت العرب تفخر بجهارة الصوت الجهير فمن كان منهم أشد صوتاً كان أعز ومن كان أخفض كان أذل" .

[2] الجامع لأحكام القرآن الكريم جـ56/14 ، زاد المسير جـ86/3 ، تفسير النسفى جـ319/2 .

الخاتمة

بعد هذه الدراسة عن وصايا لقمان لابنه نستخلص النتائج التالية :

أولاً : إن أصول العقيدة والتوحيد فى الشرائع السماوية جاءت واحدة فكل رسل الله عليهم السلام حملوا إلى أقوامهم راية التوحيد قال تعالى :" **وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلاَّ نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لاَ إِلَـهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدُونِ** "[1] كما أن مكارم الأخلاق والفضائل والنهى عن الرذائل جاءت فى الديانات السماوية واحدة فرسل الله عليهم الصلاة والسلام دعوا أقوامهم إلى الصدق والأمانة والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ولين الجانب وعدم التكبر على الناس والتوسط فى المشى وغض الصوت ، فهذه الفضائل والمكارم من عزائم الأمور التى أمر الله بها رسله عليهم السلام إلى الدعوة إليها والعمل بها والتخلق بأخلاقها وآدابها .

ثانياً : إن من أهم العبادات التى أوصى لقمان ابنه إقامة الصلاة خالصة لله الواحد القهار فالصلاة فريضة قديمة فى جميع الشرائع السماوية افترضها الله – عزّ وجلّ – على عباده فكل رسل الله عليهم السلام جاءوا بالصلاة وأمروا أقوامهم أن يؤدوها لله تبارك وتعالى . وهذا ما أكدت عليه الرسالة المحمدية الخاتمة فقد أمر القرآن بإقامة الصلاة والمحافظة على أوقاتها التى بينها رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فإن النجاة من النار يوم القيامة إنما يتحقق بالتوحيد الخالص وإقامة الصلاة لله رب العالمين .

ثالثاً : إن من الصفات الذميمة التى نهى لقمان ابنه عنها التكبر على عباد الله والنظر إليهم بسخرية وازدراء واحتقار ، والمشى فى الأرض بخيلاء ومرح . فهذه صفات يبغضها المولى – عزّ وجلّ – وجاءت الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الصحيحة تذم المتكبرين والمتجبرين وتبغضهم وتتوعدهم بالعذاب الأليم فى جهنم وبئس المصير .

رابعاً : يستنبط من دراسة هذا البحث أنه لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق ، وهذا ما ورد فى قوله تعالى : " **وَإِن جَاهَدَاكَ عَلَى أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلاَ تُطِعْهُمَا** "[2] .

---

[1] سورة (الأنبياء) آية (25)

[2] سورة (لقمان) آية (15)

خامساً : إن العمل بهذه الوصايا التى أوصى بها لقمان ابنه فى سورة لقمان وأيدتها السنة المطهرة على صاحبها أفضل الصلاة وأتم التسليم يحقق للمرء المسلم الفوز بسعادة الدارين حياة طيبة فى دنياه وفى آخرة يسعد بجنة عرضها كعرض السموات والأرض فيها ما لا عين رأت ولا آذن سمعت ولا خطر على قلب بشر .

المصادر والمراجع

1- أحكام القرآن الكريم للإمام ابن العربى المالكى ط دار المنار 2000م .

2- أسباب النزول لأبى الحسن على بن أحمد الواحدى النيسابورى ط دار المنار 2001 م.

3- إعلام الموقعين عن رب العالمين للإمام ابن الجوزى مطبعة مكتبة مصر ط1999م .

4- أصول الفقه للشيخ محمد الخضرى ط دار الحديث .

5- الإتقان فى علوم القرآن للإمام جلال الدين عبد الرحمن السيوطى مكتبة ومطبعة المشهد الحسينى ط 1967 م .

6- الإسلام عقيدة وشريعة للشيخ محمود شلتوت ط دار الشروق 2001م .

7- الأشباه والنظائر على مذهب أبى حنيفة النعمان لابن نجيم الحنفى – تحقيق عادل سعد المكتبة التوفيقية .

8- الأشباه والنظائر فى قواعد وفروع الشافعية لجلال الدين عبد الرحمن السيوطى ط دار السلام للطباعة والنشر ط 2006 م .

9- التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور ط دار سحنون للطباعة والنشر والتوزيع.

10- تفسير القرآن العظيم لابن كثير مكتبة الإيمان المنصورة 2006م .

11- تفسير القرآن الكريم الأجزاء العشرة الأولى للإمام الأكبر محمود شلتوت ط دار الشروق 2004م .

12- الجامع لأحكام القرآن الكريم للإمام القرطبى ط الثانية 2009م .

13- الرسالة للإمام محمد بن إدريس الشافعى تحقيق الشيخ أحمد شاكر ط المكتبة العلمية – بيروت – لبنان .

14- زاد المسير فى علم التفسير لابن الجوزى ط دار الفكر العربى للطباعة والنشر والتوزيع ط 2009م .

15- سبل السلام شرح بلوغ المرام من جمع أدلة الأحكام للإمام محمد بن إسماعيل الصنعانى مكتبة الإيمان .

16- سنن ابن ماجه لأبى عبد الله محمد بن يزيد بن ماجه القزوينى ترقيم محمد فؤاد عبد الباقى مكتبة الصفا 2014م .
17- سنن ابى داود سليمان بن الأشعث السجستانى ط دار الفجر للتراث 2010م.
18- سنن الترمذى لمحمد بن عيسى بن سورة بن موسى ط دار الفجر للتراث 2001م .
19- سنن النسائى لأحمد بن شعيب بن على ط دار الفجر للتراث 2010م .
20- شرح الأصول من علم الأصول للشيخ محمد صالح العثيمين ط دار العقيدة 2002م .
21- شرح العقيدة الطحاوية لابن أبى العز الحنفى ط المكتب الإسلامى 1988م.
22- شرح الفقه الأكبر لأبى حنيفة النعمان الملا على بن سلطان مكتبة الإيمان.
23- صحيح الإمام البخارى طبعة منقحة على عدة نسخ المكتبة التوفيقية .
24- صحيح الإمام مسلم طبعة جديدة منقحة مكتبة الصفا ط2004م .
25- صفوة التفاسير للشيخ محمد على الصابونى ط دار الصابونى .
26- عقيدة المؤمن لأبى بكر الجزائرى مكتبة الرحاب ط 2006م .
27- علم أصول الفقه لعبد الوهاب خلاف ط دار الحديث .
28- عون المعبود شرح سنن أبى داود لأبى الطيب محمد شمس الحق العظيم أبادى ط دار الحديث 2001م .
29- فتح المجيد شرح كتاب التوحيد للشيخ عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ ط دار الحديث 1999م .
30- القاموس المحيط لمحمد بن يعقوب الفيروز أبادى ط دار ابن الجوزى 2015م .
31- قصص الأنبياء للإمام ابن كثير ط المكتبة التوفيقية .
32- قواعد الأحكام فى مصالح الأنام للعز بن عبد السلام ط دار البيان العربى 2002م.
33- القواعد الفقهية بين الأصالة والتوجيه أ.د. محمد بكر إسماعيل ط دار المنار للنشر والتوزيع 1997م .
34- لباب التقول فى أسباب النزول للإمام السيوطى ط مكتبة الصفا ط 2002م.
35- مدارك التنزيل وحقائق التأويل للإمام النسفى ط دار الكتب العلمية 2001م .

36- مذكرة فى أصول الفقه لمحمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطى ط دار العلوم والحكم 2004م .
37- المستصفى فى أصول الفقه للإمام الغزالى ط مؤسسة الرسالة بيروت لبنان 1999م.
38- المصباح المنير لأحمد بن محمد بن على الفيومى مكتبة لبنان ناشرون
39- مفاتح الغيب للإمام الرازى ط دار الكتب العلمية 1990م .
40- المفردات فى غريب القرآن لأبى القاسم الحسن بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى ط دار الخلود للتراث .
41- موسوعة الفقه الإسلامى المعاصر لكبار العلماء ط دار الوفاء للطباعة والنشر 2005م.
42- الموطأ للإمام مالك بن أنس ترقيم محمد فؤاد عبد الباقى ط دار إحياء الكتب العربية .
43- الوجيز فى علم أصول الفقه لعبد الكريم زيدان ط دار التوزيع والنشر الإسلامية 1993م .

الفصل الثالث

تفسير سورة فاطر

تفسير سورة فاطر

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبع دعوته إلى يوم الدين . أما بعد فإن سورة فاطر من السور المكية شأنها شان أخواتها من السور المكية التي تتحدث عن قضايا الإيمان وتوحيد الله عزّ وجلّ . وإفراده بالعبودية والوحدانية ، حيث دعت الآيات الكريمة إلى الإيمان بالله تبارك وتعالى وملائكته ورسله واليوم الآخر ، ونبذ عبادة الأوثان ، والأصنام ، والتحلي بمكارم الأخلاق والتحلي عن الرذائل والموبقات .

وتحدثت السورة عن الخالق المبدع الذي فطر الأكوان ، وخلق الملائكة والإنس والجان ، وأقامت الأدلة والبراهين على البعث والنشور في صفحات هذا الكون المنظوم ، فالأرض تحي بعد مواتها عندما ينزل عليها الماء من السماء فتخرج زرعاً وحباً وفاكهة مختلفة الأشكال والألوان والمذاق . وعن تعاقب الليل والنهار وخلق الإنسان في أطوار وإيلاج الليل في النهار ، وغير ذلك من دلائل قدرته وعظمته . وتحدثت السورة الكريمة عن الفارق الكبير بين المؤمن والكافر ، وضربت لهما مثلاً بالأعمى والبصير والظالمات والنور ، والظل والحرور ، ثم بينت السورة الكريمة ميراث الأمة المحمدية لأشرف الرسالات السماوية بإنزال هذا الكتاب المجيد الجامع لفضائل كتب الله ، ثم انقسام الأمة إلى ثلاثة أنواع : " المقصر ، والمحسن ، والسابق بالخيرات . واختتمت السورة بتقريع المشركين في عبادتهم للأوثان والأصنام .

ونورد توضيح ذلك مفصلاً فيما يلي :

الآيات من [1 : 2] :

(الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ جَاعِلِ المَلائِكَةِ رُسُلاً أُوْلِي أَجْنِحَةٍ مَّثْنَى وَثُلاثَ وَرُبَاعَ يَزِيدُ فِي الخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ الله عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * مَا يَفْتَحِ اللهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلاَ مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلاَ مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ العَزِيزُ الحَكِيمُ)

معاني المفردات :

(الْحَمْدُ لِلَّهِ) : حمد ذاته تعليماً وتعظيماً .

(فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ) : أي بديع السموات والأرض .

وقال ابن عباس – رضي الله عنهما – كنت لا أدري ما فاطر السموات والأرض حتى اختصم إليّ أعرابيان في بئر فقال أحدهما : أنا فطرتها . أي ابتدأتها . وقال الضحاك

كل شيء في القرآن فاطر السموات والأرض فهو خالق السموات والأرض .[1] وقيل مبدعهما وموجدهما على غير مثال .

(جَاعِلِ المَلائِكَةِ رُسُلاً) : بينه وبين أنبيائه لتبليغهم أوامر الله .

(أُوْلِي) : ذوي اسم جمع لذو وهو بدل من " رسلاً " أو نعت له .

(أَجْنِحَةٍ) : أصحاب أجنحة ، بعضهم له جناحان ، وبعضهم له ثلاثة ، وبعضهم له أربعة ، ينزلون بها من السماء إلى الأرض ويعرجون بها إلى السماء.

ورأى رسول الله ε جبريل ليلة الإسراء وله ستمائة جناح بين كل جناحين ما بين السماء والأرض . والملائكة : أجسام نورانية خلقت من نور لا يأكلون ولا يشربون ولا ينامون ولا يتناسلون . شأنهم الطاعة لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون . ولا يصفون بذكورة ولا أنوثة . والإيمان بهم ركن من هذا أركان الدين الحنيف . من كفر بواحد منهم فقد خرج عن الإسلام . وهم أنواع منهم حملة العرش . ومنهم حفظة الإنسان ومنهم الموكل بإنزال الأوامر والنواهي على من أصطفاه عزّ وجلّ من الرسل والأنبياء وهو الأمين جبريل عليه السلام . ومنهم ميكائيل وهو الموكل بالأرزاق . وإسرافيل موكل بالنفخ في الصور . وملك الموت موكل بقبض الأرواح . ومنهم منكر ونكير لسؤال القبر ، ورقيب وعتيد حاضر الحسنات والسيئات ، ومنهم ملائكة الرحمة ، وملائكة العذاب .

(يَزِيدُ فِي الخَلْقِ مَا يَشَاءُ) : [2] مستأنفة مقررة لما قبلها من تفاوت أحوال الملائكة ، والمعنى أنه يزيد في خلق الملائكة ما يشاء وقيل إن الآية مطلقة تتناول كل زيادة في الخلق من طول قامة واعتدال صورة وتمام في الأعضاء وقوة في البطش وحصافة العقل وجزالة في الرأي وذلاقة في اللسان ومحبة في قلوب المؤمنين وما أشبه ذلك .[3]

(إِنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) : أي قادر .

القراءات الواردة في الآية :

---

1 تفسير القرآن العظيم للإمام ابن كثير جـ3 / 546 ، تفسير النسفي جـ1 / 378 .

2 – فتح القدير للإمام الشوكاني جـ4 / 337 .

3- تفسير النسفي جـ2 / 378 .

قـرأ الجمهـور (فَـاطِرِ) علـى صـيغة اسـم الفاعـل ، وقـرأ الزهـري والضـحاك " فطر " على صيغة الماضي .

(**مَـا يَفْـتَحِ اللهُ لِلنَّـاسِ مِـن رَّحْمَـةٍ فَـلاَ مُمْسِـكَ لَهَـا وَمَـا يُمْسِـكْ فَـلاَ مُرْسِـلَ لَـهُ مِنْ بَعْدِهِ**). فإنعامه على عباده بجميع أنواع النعم لا يقدر أحد كائناً من كان أن يمسكه عنهم وما يمسكه عنهم من رحمته وإنعامه لا يقدر أحد كائناً من كان أن يرسله إليهم ، وهذا معلوم من الدين بالضرورة . والرحمة المذكورة في الآية عامة فيما ما يرحم الله به خلقه من الأنعام الدنيوي والأخروي . [1]

(**وَ هُـوَ العَزِيـزُ الحَكِـيمُ**) : هـو تعـالى الغالـب علـى كـل شـيء الحكـيم فـي صنعه ، والذي يفعل ما يريد على مقتضى الحكمة والمصلحة .

قال المفسرون : الفتح والإمساك عبارة عن العطاء والمنع ، فهو الذي يضر وينفع ويعطي ويمنع . وفي الحديث " أحق ما قال العبد وكلنا لك عبد : اللهم لا مانع لما أعطيت ، ولا معطي لما منعت ، ولا ينفع ذا الجد منك الجد " . [2]

(**وَهُوَ العَزِيزُ**) : الغالب القادر على الإرسال والإمساك .

(**الحَكِيمُ**) : الذي يرسل ويمسك ما تقضي الحكمة إرساله وإمساكه .

آية رقم [3] :

(**يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ**) .

ليس المراد بذكر النعمة ذكرها باللسان فقط ، ولكن به وبالقلب ، وحفظها من الكفران والاحتقار ، وشكرها بمعرفة حقها والاعتراف بها وطاعة موليها . والخطاب عام للجميع ، لأن جميعهم مغمورون في نعمة الله وعن ابن عباس رضي الله عنهما : يريد يا أهل مكة اذكروا نعمة الله عليكم حيث أسكنكم حرمه ومنعكم من جميع العالم ، والناس يتخطفون من

1- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن للشنقيطي جـ6 / 635 .

2- تفسير ابن كثير جـ3 / 446 – 447 .

حولكم .[1] ويقول الإمام الشوكاني عند تفسيره للآية : " أمر الله سبحانه عباده أن يذكروا نعمه الفائضة عليهم التي لا تعدّ ولا تحصى " . [2]

ويقول الإمام النسفي عند تفسير قوله تعالى :(**نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ**) هي بسط الأرض كالمهاد ، ورفع السماء بلا عماد ، وإرسال الرسل لبيان السبيل دعوة إليه وزلفة لديه .[3]

(**هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ الله**) : من زائدة . وخالق مبتدأ وغير الله صفة له. قال الزجاج : " ورفع غير على معنى هل خالق غير الله لأن " مِنْ " زيادة مؤكدة ، ومن خفض غير جعلها صفة على اللفظ " . وقرأ الجمهور برفع " غير " وقرأ حمزة والكسائى بخفضها وقرأ الفضل بن إبراهيم بنصها على الاستثناء وجملة (**يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ**) : خبر المبتدأ ، أو جملة مستأنفة أو صفة أخرى لخالق وخبره محذوف . والرزق من السماء بالمطر ومن الأرض بالنبات .[4]

(**فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ**) : فكيف تصرفون بعد هذا البيان ووضوح البرهان إلى عبادة الأوثان ؟ والغرض : تذكير الناس بنعم الله ، وإقامة الحجة على المشركين.[5]

(**فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ**) : فكيف تصرفون .

آية رقم [4] :

(**وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ وَإِلَى اللهِ تُرْجَعُ الأُمُورُ**)

(**وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ**) : الخطاب موجه من الله عزّ وجلّ إلى رسوله ε تسلية له على تكذيب قومه له والمعنى وإن يكذبك يا محمد هؤلاء المشركون فلا تحزن لتكذيبهم ، فهذه سنة الله في الأنبياء من قبلك ، فقد كُذّبوا وأوذوا حتى أتاهم نصرنا ، فلك بهم أسوة ، ولا بد أن ينصرك الله عليهم .

1- الكشاف للإمام الزمخشري جـ4 / 338 .

2- فتح القدير جـ4 / 338 .

3- تفسير النسفي جـ2 / 379 .

4- فتح القدير جـ4 / 378 .

5- صفوة التفاسير جـ2 / 566 .

(وَإِلَى الله تُرْجَعُ الأُمُورُ) إلى الله تعالى وحده مرجع أمرك وأمرهم ، وسيجازي كلاّ بعمله ، وفيه وعيد وتهديد للمكذبين ، وقرئ " تُرْجَعُ " بضم التاء وفتحها .[1]

واشتملت الآيات الكريمة على صور بيانية نذكر منها :

1. **الاستعارة التمثيلية :** (**مَا يَفْتَحِ الله لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلاَ مُمْسِكَ لَهَا**) والفتح ، فاستعير الفتح للإطلاق والإمساك للمنع .
2. **الطباق** بين " يفتح . . . ويمسك " وكذلك بين " يضل ويهدي " وبين " تحمل . . وتضع " وبين " يُعمر . وينقص من عمره " .
3. **المقابلة** بين جزاء الأبرار والفجار **(الَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ)** وبين قوله " هذا عذب فرات . . وهذا ملح أجاج " وكل من الطباق والمقابلة من المحسنات البديعية إلا أن الأول يكون بين شيئين والثاني أكثر .
4. **الإطناب** بتكرار الفعل ، **(فَلاَ تَغُرَّنَّكُمُ الحَيَاةُ الدُّنْيَا)** ثم قال **(وَلاَ يَغُرَّنَّكُم بِالله الغَرُورُ)** .
5. **الكناية (فَلاَ تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ)** كناية عن الهلاك لأن النفس إذا ذهبت هلك الإنسان .
6. **الالتفات** من الغيبة إلى التكلم للإشعار بالعظمة **(أَرْسَلَ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَاباً فَسُقْنَاهُ)**.

الآيات [5 : 7] :

(يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ الله حَقٌّ فَلاَ تَغُرَّنَّكُمُ الحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلاَ يَغُرَّنَّكُم بِالله الغَرُورُ * إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُواً إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ * الَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ)

تتحدث الآيات عن وعد الله عزّ وجلّ بالثواب والجزاء لمن آمن وعمل صالحاً ووعيده بالعذاب لمن كفر وابتعد عن شرعه واتبع هواه . كما حذرت الآيات من أن الشيطان عدوٌ مبين للإنسان يسعى لضلاله وغوايته ، وكذلك الغرور بالدنيا وزخرفها.

1- الكشاف جـ3 / 598 .

(**يا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ**) :إن وعده لكم بالبعث والجزاء حق ثابت لا محالة ولا خلف فيه .

(**فَلاَ تَغُرَّنَّكُمُ الحَيَاةُ الدُّنْيَا**) : بزخرفها ونعيمها . وقال سعيد بن جبير : " غرور الحياة الدنيا أن يشتغل الإنسان بنعيمها ولذاتها عن عمل الآخرة حتى يقول: " يا ليتني قدمت لحياتي" .[1]

(**وَلاَ يَغُرَّنَّكُم بِاللهِ الغَرُورُ**) : قرأ الجمهور بفتح الغين . أي المبالغ في الغرور وهو الشيطان . فإنه يمنيكم الأماني الكاذبة ، ويقول إن الله غني عن عبادتك وعن تكذيبك" [2] .

(**إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُواً**) : إن الشيطان لكم أيها الناس عدوٌ لدود وعدواته قديمة لا تكاد تزول فعادوه كما عاداكم ولا تطيعوه ، وكونوا على حذر منه . قال بعض العارفين : يا عجبا لمن عصى المحسن بعد معرفته بإحسانه وأطاع اللعين بعد معرفته بعداوته " [3] .

(**إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ**) : ليكونوا من المخلدين في نار جهنم التي تتوقد على أهلها [4] .

(**الَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ**) : أي كفروا بالله ورسوله ويقول الإمام النسفي : "فمن أجاب الشيطان حين دعاه فله عذاب شديد لأنه صار من أتباعه".[5]

(**وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ**) : جمعوا بين الإيمان والعمل الصالح .

(**لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ**) : لهم عند ربهم مغفرة لذنوبهم ، وأجر كبير وهو الجنة ، وإنما قرن الإيمان بالعمل الصالح ليشير إلى أنهما لا يفترقان ، فالإيمان تصديق وقول وعمل " [6] .

آية رقم [8] :

1- فتح القدير جـ4 / 338 .

2- تفسير الإمام النسفي جـ2 /38.

3- صفوة التفاسير جـ2 /566 .

4- جامع البيان للإمام الطبري جـ117/20 .

5- تفسير الإمام النسفي جـ2 /380 .

6- صفوة التفاسير جـ3 /567 .

(أَفَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَناً فَإِنَّ الله يُضِلُّ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ فَلاَ تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ إِنَّ الله عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ)

يقول تعالى ذكره : أفمن حسن له الشيطان أعماله السيئة من معاصي الله والكفر به ، وعبادة ما دونه من الآلهة والأوثان ، فرآه حسناً ، فحسب ذلك حسناً ، وظن أن قبحه جميل ، لتزيين الشيطان ذلك له ذهبت نفسك عليهم حسرات، وحذف من الكلام : ذهبت نفسك عليهم حسرات اكتفاء بدلالة قوله **(فَلاَ تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ)** .

واختلف القراء في قراءة الآية :

فقراءة الأمصار سوى أبي جعفر المدني " فلا تذهب نفسُك " بفتح التاء من " تذهب " و" نفسك " برفعها .

وقرأ أبو جعفر "فلا تُذهِبُ " بضم التاء من " تذهب " و "نفسَك " بنصبها ، بمعنى : لا تذهب أنت يا محمد نفسك ، والصواب من القراءة في ذلك ما عليه قرّاء الأمصار ؛ لإجماع الحجة من القرّاء عليه .

(إِنَّ الله عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ) : يقول تعالى ذكره : إن الله يا محمد ذو علم بما يصنع هؤلاء الذين زين لهم الشيطان سوء أعمالهم وهو محصيه عليهم ومجازيهم به [1].

آية رقم [9] :

(والله الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَاباً فَسُقْنَاهُ إِلَى بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَلِكَ النُّشُورُ)

أخبر سبحانه وتعالى عن نوع من أنواع بديع صنعه ، وعظيم قدرته ، ليتفكروا في ذلك وليعتبروا به فقال :

(والله الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ) قرأ الجمهور : الرياح ، وقرأ ابن كثير وثابت وحمزة والكسائي " الريح " بالافراد **(فَتُثِيرُ سَحَاباً)** جاء بالمضارع بعد الماضي استحضاراً للصورة لأن ذلك أدخل في اعتبار المعتبرين ، ومعنى كونها: تثير السحاب أنها تزعجه من حيث هو .[2]

1- جامع البيان عن تأويل آي القرآن جـ20 / 108 .

2- فتح القدير جـ4 / 340 .

(**فَسُقْنَاهُ إِلَى بَلَدٍ مَّيِّتٍ**) أي فسقنا السحاب الذي يحمل الغيث إلى بلدٍ مجدب قاحل .

(**فَأَحْيَيْنَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا**) فيه حذف تقديره فأنزلنا به الماء فأحيينا به الأرض بعد جدبها ويبسها .

وفي الآية صورة بلاغية فقد استعار الإحياء للنبات والموت لليبس .[1]

(**كَذَلِكَ النُّشُورُ**) كذلك يحيي الله العباد بعد موتهم كما أحيا الأرض بعد موتها ، والنشور هو البعث . وروى الإمام أحمد عن أبي رزين العقيلي قال قلت : يا رسول الله كيف يحيي الله الموتى ؟وما آية ذلك في خلقه ؟ قال : أما مررت بوادي أهلك ممحلاً ، ثم مررت به يهتز خضراً ؟ قلت : نعم يا رسول الله . قال : فكذلك يحيي الله الموتى ، وتلك آيته في خلقه .[2]

ويقول الإمام ابن كثير كثيراً ما يستدل المولى سبحانه وتعالى على البعث إحيائه الأرض بعد موتها فإن الأرض تكون ميتة هامدة لا نبات فيها ، فإذا أرسل الله إليها السحاب تحمل الماء وأنزله عليها " اهتزت وربت وانبتت من كل زوج بهيج، كذلك الأجساد إذا أراد الله تعالى بعثها ونشورها أنزل من تحت العرش مطراً يعم الأرض جميعاً فتنبت الأجساد في قبورها كما تنبت الحبة في الأرض ولهذا جاء في الصحيح أن كل ابن آدم يبلى إلا عجب الذنب ، منه خلق ومنه يركب ".[3]

آية رقم [10] :

(مَن كَانَ يُرِيدُ العِزَّةَ فَلِلَّهِ العِزَّةُ جَمِيعاً إِلَيْهِ يَصْعَدُ الكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُوْلَئِكَ هُوَ يَبُورُ)

(مَن كَانَ يُرِيدُ العِزَّةَ فَلِلَّهِ العِزَّةُ جَمِيعاً) في هذه الآية يبين المولى جلا وعلا أن من كان يريد العزة فإنها جميعاً لله وحده ، فليطلبها منه ولينتسب لنيلها بطاعته جل وعلا ، فإن من أطاعه أعطاه العزة في الدنيا والآخرة . أما الذين يعبدون الأصنام لينالوا العزة بعبادتها والذين

1- فتح القدير جـ 4 / 340 .

2- صفوة التفاسير جـ3 / 56 7 .

3- تفسير ابن كثير جـ3 / 548 .

يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين يبغون عندهم العزة فإنهم في ضلال وعمى عن الحق ، لأنهم يطلبون العزة من محل الذل .[1]

وفي الحديث : "إن ربكم يقول كل يوم أنا العزيز فمن أراد عزّ الدارين فليطع العزيز ، ثم عرف ما يطلب به العزة هو الإيمان والعمل الصالح ".[2]

(**إِلَيْهِ يَصْعَدُ الكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ**) الكلم الطيب لا إله الله . ويقول الإمام الشوكاني إلى الله يصعد لا إلى غيره ومعنى صعوده إليه قبوله له ، أو صعود الكتبة من الملائكة بما يكتبونه من الصحف ، وخص الكلم الطيب بالذكر لبيان الثواب عليه ، وهو يتناول كل كلام بتصف بكونه طيباً من ذكر وأمر بمعروف ونهى عن منكر وتلاوة القرآن وغير ذلك فلا وجه لتخصيصه بكلمة التوحيد أو بالتحميد والتمجيد ، وقيل المراد بصعوده إلى سماء الدنيا ، وقيل المراد بصعوده علم الله به .[3]

(**وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ**) إن العمل الصالح يرفع الكلم الطيب ووجهه أنه لا يقبل الكلم الطيب إلا مع العمل الصالح ، وقيل إن فاعل يرفعه هو الكلم الطيب ومفعوله العمل الصالح ، ووجهه أن العمل الصالح لا يقبل إلا مع التوحيد والإيمان ، وقيل إن فاعل يرفعه ضمير يعود إلى الله عزّ وجلّ . والمعنى أن الله يرفع العمل الصالح على الكلم الطيب لأن العمل يحقق الكلام ، وقيل والعمل الصالح يرفع صاحبه ، وهو الذي أراد العزة وقال قتادة المعنى أن الله يرفع العمل الصالح لصاحبه : أي يقبله ، فيكون قوله (**وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ**) مبتدأ وخبره (**يَرْفَعُهُ**)، وكذا على قول من قال يرفع صاحبه ، قرأ الجمهور (**يَصْعَدُ**) من صعد الثلاثي . (**الكَلِمُ الطَّيِّبُ**) بالرفع على الفاعلية . وقرأ علي وابن مسعود (**يُصْعَد**) بضم حرف المضارعة من أصعد ، (**الكَلِمُ الطَّيِّبُ**) بالنصب على المفعولية . وقرأ الضحاك على البناء للمفعول وقرأ الجمهور (**الكَلِمُ**) وقرأ أبو عبد الرحمن (**الكلام**) .[4]

1- أضواء البيان جـ6 / 638 .

2- تفسير الإمام النسفي جـ2 / 381 .

3- فتح القدير جـ4 / 341 .

4- فتح القدير جـ4 / 341 ، أحكام القرآن لابن العربي جـ4 / 14 .

(**وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ**) هذا بيان للكلم الخبيث بعد بيان الكلام الطيب والمعنى والذين يحتالون بالمكر والخديعة لإطفاء نور الله ، والكيد للإسلام والمسلمين ، لهم في الآخرة عذاب شديد في نار جهنم .

(**وَمَكْرُ أُوْلَئِكَ هُوَ يَبُورُ**) أي ومكر أولئك المجرمين الهلاك ، لأنه ما اسر أحد سوءاً ودبره إلا أبداه الله وأظهره ولا يحيق المكر السيئ إلا بأهله قال المفسرون : والإشارة هنا إلى مكر قريش برسول الله ε حين اجتمعوا في دار الندوة وأرادوا أن يقتلوه أو يحبسوه أو يخرجوه كما حكى القرآن الكريم في قوله تعالى : (**وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللهُ وَاللهُ خَيْرُ المَاكِرِينَ**) .[1]

آية رقم [11] :

في هذه الآية الكريمة بين عزّ وجلّ دلائل قدرته في خلق آدم عليه السلام من طين ثم خلق نسله من سلالة من ماء مهين ، ثم بين سبحانه وتعالى أنه لا يخفى عليه خافية في الأرض ولا في السماء ، وهو السميع العليم فما تحمل من أنثى ولا تضع إلا بعلمه تعالى ، وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره إلا في كتاب مسطور .

(**وَاللهُ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ**) ابتدأ خلق أبيكم آدم من تراب ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين .

(**ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجاً**) ذكراً وأنثى لطفاً منه ورحمة أن جعل لكم أزواجاً من جنسكم لتسكنوا إليها .[2]

(**وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَى وَلاَ تضَعُ إِلاَّ بِعِلْمِهِ**) أي وما تحمل أنثى في بطنها من جنين ولا تلد إلا بعلمه تعالى ، ويعلم أذكر هو أو أنثى ، ويعلم أطوار هذا الجنين في بطن أمه ، ولا يخفى عليه شيء من أحواله .

(**وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلاَ يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلاَّ فِي كِتَابٍ**) وما يطول عمر أحدٍ من الخلق فيصبح هرماً ، ولا ينقص من عمر أحد فيموت وهو صغير أو شاب إلا وهو مسجل في اللوح المحفوظ ، لا يزاد فيما كتب الله ولا ينقص .[1]

1- سورة الأنفال : آية 30 .

2- تفسير ابن كثير جـ3 / 549 .

(إِنَّ ذَلِكَ) أي إحصاءه أو زيادة العمر ونقصانه (عَلَى الله يَسِيرٌ) سهل.[2]

الآيات [12 : 14] :

(وَمَا يَسْتَوِي البَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَمِن كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْماً طَرِياً وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ لِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ * يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لأَجَلٍ مُّسَمًّى ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ المُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ * إِن تَدْعُوَهُمْ لاَ يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ القِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلاَ يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ)

ضرب البحرين : العذب والمالح مثالين للمؤمن والكافر ، ثم قال على سبيل الاستطراد في صفة البحرين وما علق بهما من نعمته وعطائه (**وَمِن كُلٍّ**) من كل واحد منهما .

(**تَأْكُلُونَ لَحْماً طَرِياً**) وهو السمك . (**وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا**) اللؤلؤ والمرجان[3] . (**مَوَاخِرَ**) أي ترى السفن في البحرين شواق للماء بعضها مقبلة ، وبعضها مدبرة بريح واحدة [4] . (**لِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ**) قال مجاهد : ابتغاء الفضل هو التجارة في البحر إلى البلدان البعيدة في مدة قريبة . (**وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ**) الله على ما انعم عليكم به من ذلك .

قال أكثر المفسرين : إن المراد من الآية ضرب المثل في حق المؤمن والكافر ، والكفر والإيمان . فكما لا يستوي البحران كذلك لا يستوي المؤمن والكافر ، والكفر والإيمان [5].

(يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ) يدخل من ساعات أحدهما في الأخر حتى يصير الزائد منهما خمس عشرة ساعة والناقص تسعاً . وقال ابن عباس معنى الآية انتقاص أحدهما من الآخر . (**وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لأَجَلٍ مُّسَمًّى**) وأجرى لكم الشمس والقمر نعمة منه عليكم ورحمة منه بكم، لتعلموا عدد السنين والحساب ، وتعرفوا الليل من النهار .

1- صفوة التفاسير جـ3 / 568 .

2- تفسير النسفي جـ2 / 382 .

3- الكشاف جـ3 / 604 .

4- فتح القدير جـ4 / 343 .

5- الفتح القدير جـ4 / 343 .

وقوله (**كُلٌّ يَجْرِي لأَجَلٍ مُّسَمًّى**) كل ذلك يجري لوقت معلوم [1] . (**ذَلِكُمُ**) مبتدأ . (**الله رَبُّكُمْ لهُ المُلْكُ**) أخبار مترادفة هو الخالق المقدر والقادر المقتدر المالك للعالم ، والمتصرف فيه . (**وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ**) لا يقدرون عليه ولا على خلقه ، والقطمير : القشرة الرقيقة التي تكون بين الثمرة والنواة وتصير على النواة كاللفافة لها .

وقال المبرد : هو شق النواة . وقال قتادة : هو القمع الذي على رأس النواة : قال الجوهري : ويقال هي الفكفة البيضاء التي في ظهر النواة تنبت منها النخلة .[2]

ثم بين سبحانه حال هؤلاء الذين يدعونهم من دون الله بأنهم لا ينفعون ولا يضرون .

(**وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ**) يعني الأصنام التي تعبدونها من دون الله . (**مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ**) وهي القشرة الرقيقة الملتفة على النواة .

(**إِن تَدْعُوَهُمْ**) الأصنام . (**لاَ يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ**) لأنها جماد . المعنى : إن تستغيثوا بهم في النوائب لا يسمعوا دعاءكم لكونها جمادات لا تدرك شيئاً من المدركات . (**وَلَوْ سَمِعُوا**) على سبيل الفرض . (**مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ**) لأنهم لا يدعون ما تدعون لهم من الألوهية ويتبرءون منها . (**وَيَوْمَ القِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ**) أي بإشراككم لهم وعبادتكم إياهم ويقولون ما كنتم إيانا تعبدون . (**وَلاَ يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خبِيرٍ**) أي لا يخبرك مثل من هو خبير بالأشياء عالم بها وهو الله سبحانه فإنه لا أحد أخبر بخلقه وأقوالهم وأفعالهم منه سبحانه ، وهو الخبير بكل الأمور وحقائقها .[3]

الآيات [15 : 18] :

(يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الحَمِيدُ * إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ * وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ * وَلاَ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَى حِمْلِهَا لاَ يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى إِنَّمَا تُنذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ وَأَقَامُوا الصَّلاَةَ وَمَن تَزَكَّى فَإِنَّمَا يَتَزَكَّى لِنَفْسِهِ وَإِلَى اللَّهِ المَصِيرُ)

الآيات [19 : 23] :

1- تفسير الطبري جـ20 / 124 .

2- فتح القدير جـ4 / 343 .

3- تفسير النسفي جـ2 / 383 ، فتح القدير جـ4 / 343 .

(وَمَا يَسْتَوِي الأَعْمَى وَالْبَصِيرُ * وَلاَ الظُّلُمَاتُ وَلاَ النُّورُ * وَلاَ الظِّلُّ وَلاَ الحَرُورُ * وَمَا يَسْتَوِي الأَحْيَاءُ وَلاَ الأَمْوَاتُ إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَاءُ وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي القُبُورِ * إِنْ أَنْتَ إِلاَّ نَذِيرٌ)

(وَمَا يَسْتَوِي الأَعْمَى) عن دين الله الذي انبعث به نبيه محمداً ε .

(وَالْبَصِيرُ) الذي أبصر رشده فاتبع محمداً وصدقه وقبل عن الله ما ابتعثه به .

(وَلاَ الظُّلُمَاتُ) وما تستوي ظلمات الكفر ، **(وَلاَ النُّورُ)** نور الإيمان .

(وَلاَ الظِّلُّ) قيل : ولا الجنة . **(وَلاَ الحَرُورُ)** قيل : النار كأن معناه عندهم : وما تستوي الجنة والنار ، والحرور بمنزلة السموم وهي الرياح الحارة وذكر أبو عبيده معمر بن المثنى عن رؤية بن الحجاج أنه كان يقول : الحرور بالليل ، والسموم بالنهار أما أبو عبيده فقال : الحرور في هذا الموقع والنهار مع الشمس وقال الفراء الحرور يكون بالليل النهار والسموم لا يكون بالليل إنما يكون بالنهار [1] . قال الإمام الشوكاني شبه الكافر بالأعمى ، وشبه المؤمن بالبصير ، والباطل بالظلمات والحق بالنور [2] ، وجمع الظلمات وأفرد النور لتعدد فنون الباطل واتحاد الحق .

ثم ذكر سبحانه تمثيلاً آخر للمؤمن والكافر فقال وما يستوي الأحياء ولا الأموات فشبه المؤمنين بالأحياء والكافرين بالأموات .

قال ابن قتيبة : الأحياء العقلاء ، والأموات الجهال .

قال قتادة : هذه كلها أفعال أمثال : أي كما لا تستوي هذه الأشياء كذلك لا يستوي الكافر والمؤمن .

(إِنَّ اللهَ يُسْمِعُ مَن يَشَاءُ وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي القُبُورِ) يعني أنه قد علم من يدخل في الإسلام ممن لا يدخل فيه فيهدي من يشاء هدايته وأما أنت فخفى عليك أمرهم فلذلك تحرص على إسلام قوم مخذولين .[3]

1- تفسير الطبري جـ22 / 128 .

2- فتح القدير جـ4 / 345 .

3- تفسير النسفي جـ2 / 386 .

(إِنْ أَنْتَ إِلاَّ نَذِيرٌ) ما أنت إلا رسول منذر ليس عليك إلا الإنذار والتبليغ والهدى والضلالة بيد الله عزّ وجلّ ، فإن كان المنذر ممن يسمع الإنذار نفع وإن كان من المصرين فلا عليك .[1]

الآيات [24 : 26] :

(إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيراً وَنَذِيراً وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلاَّ خَلا فِيهَا نَذِيرٌ * وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالزُّبُرِ وَبِالْكِتَابِ المُنِيرِ * ثُمَّ أَخَذْتُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ)

يقول المولى عزّ وجلّ لنبيه محمد ε : (إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ) يا محمد . (بِالْحَقِّ) وهو الإيمان بالله وشرائع الدين التي افترضها على عباده . (بَشِيراً) مبشراً بالجنة من صدقك وقبل منك ما جئت به من عند الله من النصيحة . (وَنَذِيراً) تنذر الناس من كذبك ورد عليك ما جئت به من النصيحة .

(وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلاَّ خَلا فِيهَا نَذِيرٌ) ما من أمة من الأمم الماضية إلاّ مضى منها نذير من الأنبياء ينذرها ، واقتصر على ذكر النذير دون البشير لأنه ألصق بالمقام .

(وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ) كذب من قبلهم من الأمم الماضية أنبياءهم .

(جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ) بالمعجزات الواضحة والدلالات الظاهرة .

(وَبِالزُّبُرِ) أي الكتب المكتوبة كصحف إبراهيم . (وَبِالْكِتَابِ المُنِيرِ) : كالتوراة والإنجيل ، قيل الكتاب المنير داخل تحت الزبر وتحت البينات والعطف لتغاير المفهومات وإن كانت متحدة في الصدق . والأولى تخصيص البينات بالمعجزات ، والزبر بالكتب التي فيها مواعظ ، والكتاب بما فيه من شرائع وأحكام .

(ثمَّ أَخَذْتُ الَّذِينَ كَفَرُوا) وضع الظاهر موضع الضمير يفيد التصريح بذمهم بما في حيز الصلة ، ويشعر بعلة الأخذ .

(فَكَيْفَ كانَ نَكِيرِ) فكيف كان نكيري عليهم وعقوبتي لهم وقرأ ورش عن نافع وشيبة بإثبات الياء في (نَكِيرِ) وصلا لا وقفاً .[2]

الآيات [27 : 28] :

1- تفسير فتح القدير جـ4 / 386 .

2- فتح القدير جـ 4/ ، تفسير ابن كثير جـ3 /

(أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُّخْتَلِفاً أَلْوَانُهَا وَمِنَ الجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ * وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ العُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ)

يبين الله سبحانه وتعالى في هاتين الآيتين كمال قدرته في خلقه للأشياء المتنوعة والمختلفة من الشيء الواحد وهو الماء الذي ينزله من السماء فيخرج به ثمرات مختلفاً ألوانها من أصفر وأحمر وأخضر وأبيض إلى غير ذلك من ألوان الثمار ، وكذلك الحبال منها الأبيض والأحمر والأسود ، والناس والدواب والأنعام مختلف ألوانه .

(فَأَخْرَجْنَا بِهِ) : بالماء . **(ثَمَرَاتٍ مُّخْتَلِفاً أَلْوَانُهَا)** أجناسها من الرمان والتفاح والتين والعنب وغيرها مما لا يحصر أو هيئاتها من الحمرة والصفرة والخضرة .[1]

وقال الإمام الشوكاني عند تفسير الآية : ذكر الله سبحانه وتعالى نوعاً من أنواع قدرته الباهرة وخلقاً من مخلوقاته البديعة فقال :

(أَلَمْ تَرَ) الخطاب موجه لرسول الله ε أو لكل من يصلح له **(أَنَّ الله أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً)** وهذه الرؤية هي القلبية : أي ألم تعلم وإن اسمها وخبرها سدت مسد المفعولين . والنكتة في هذا الالتفاف إظهار كمال العناية بالفعل لما فيه من الصنع البديع . وانتصاب **(مُّخْتَلِفاً أَلْوَانُهَا)** على الوصف لثمرات والمراد بالألوان الأجناس والأصناف . **(وَمِنَ الجِبَالِ جُدَدٌ)** طرق مختلفة جدة كمدة ومدد.

(بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ) جمع غربيب وهو تأكيد للأسود يقال: للأسود غربيب وهو أبعد في السواد وأغرب فيه.[2]

ويقول الإمام ابن كثير: " وخلق الجبال مختلفة الألوان من بيض وحمرٍ ، وفي بعضها طرائق وهي الجدد وجمع جدة مختلفة الألوان أيضاً . وقال ابن عباس رضي الله عنهما الجد والطرائق ، وقال عكرمة الغرابيب الجبال الطوال السود".[3]

ومن الناس والدواب والأنعام مختلف ألوانه يعني ومنهم بعض مختلف ألوانه . **(كَذَلِكَ)** أي كاختلاف الثمرات والجبال .

1- فتح القدير جـ4 / 347 .

2- تفسير النسفي جـ2 / 386 ,

3- تفسير ابن كثير جـ2 / 553 .

(إِنَّمَا يَخْشَى اللهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ) إنما يخشاه حق خشيته العلماء لأنه كلما كانت المعرفة للعظيم القدير العليم الموصوف بصفات الكمال المنعوت بالأسماء الحسنى كلما كانت المعرفة به آتم والعلم به أكمل كانت الخشية له أعظم وأكثر .[1]

ويقول الإمام الشوكاني : إن الله سبحانه وتعالى قد عين في هذه الآية أهل خشيته وهم العلماء به وتعظيم قدرته . قال مجاهد : من خشي الله – عزّ وجلّ . وقال مسروق : كفى بخشيته الله علماً وكفى بالاعتذار جهلاً ، فمن كان أعلم بالله كان أخشاهم له .[2]

الآيات [29 : 35]

(إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِراً وَعَلانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ * لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ * وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الكِتَابِ هُوَ الحَقُّ مُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ إِنَّ اللَّهَ بِعِبَادِهِ لَخَبِيرٌ بَصِيرٌ * ثُمَّ أَوْرَثْنَا الكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الفَضْلُ الكَبِيرُ * جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤاً وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ * وَقَالُوا الحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الحَزَنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ * الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ المُقَامَةِ مِن فَضْلِهِ لاَ يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلاَ يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ)

(إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللهِ) يستمرون على تلاوته ويداو مونها والكتاب هو القرآن الكريم . وقال الكلبي : يأخذون بما فيه ، وقيل يعلمون ما فيه .**(وَأَقَامُوا الصَّلاةَ)** أدوها في أوقاتها مع كمال أركانها وأذكارها . **(وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِراً وَعَلانِيَةً)** وأنفقوا بعض أموالهم في سبيل وابتغاء رضوانه في السر والعلن . **(يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ)** في محل رفع خبر إن والمراد بالتجارة ثواب الطاعة . **(لَّن تَبُورَ)**لن تكد ولن تهلك .

(لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ) ليوفيهم الله جزاء أعمالهم وثواب ما فعلوا من صالح الأعمال ويزيدهم فوق أجورهم – من فضله وإنعامه وإحسانه . قال ابن جزي : " توفية الأجور هو ما يستحقه المطيع من الثواب . والزيادة للتضعيف فوق ذلك أو النظر إلى وجه الله " [3] . **(إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ)** أي مبالغ في الغفران لأهل القرآن ، شاكر لطاعتهم.[4]

1- تفسير ابن كثير جـ2 / 553 .

2- فتح القدير جـ4 / 348 .

3- صفوة التفاسير جـ3 / 575 .

4- تفسير النسفي جـ2 / 388 .

(**وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الكِتَابِ**) القرآن " ومن " للتبيين (**مُصَدِّقاً**) حال مؤكدة لأن الحق لا ينفك عن هذا التصديق [1] (**لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ**) لما تقدمه من الكتاب (**إِنَّ اللَّهَ بِعِبَادِهِ لَخَبِيرٌ بَصِيرٌ**) أي محيط بجميع أمورهم .[2]

واشتملت الآيات الكريمة على صور بيانية منها :

1. **الطباق** : بين " يُذهب . . ويأت " و بين " الأعمى والبصير " و " الظلمات . . والنور " و " الظل . . الحرور " و " الأحياء . . والأموات " وبين " نذيراً . . وبشيراً " وبين " سراً وعلانية " .
2. **جِناس الاشتقاق** : " ولا تزر وازرة " حملها لا يحمل منه شيء .
3. **الاستعارة التصريحية** : " وما يستوي الأعمى والبصير " الآية شبه الكافر بالأعمى ، والمؤمن بالبصير بجامع ظلام الطريق وعدم الاهتداء على الكافر ، ووضح الرؤية والاهتداء للمؤمن ، ثم استعار المشبه به " الأعمى " للكافر ، واستعار " البصير " للمؤمن بطريق الاستعارة التصريحية " .
4. **الالتفات من الغيبة إلى التكلم** : " أنزل من السماء ماءً فأخرجنا " بدل فاخرج لما في ذلك من الفخامة ولبيان كمال العناية بالفعل لما فيه من الصنع البديع المنبئ عن كمال قدرة الله وحكمته .
5. **قصر الصفة على الموصوف** : " إنما يخشى الله من عباده العلماء " فقد قصر الخشية على العلماء .
6. **الاستفهام التقريري** : وفيه معنى التعجب (**أَلَمْ تَرَ أَنَّ الله أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُّخْتَلِفاً أَلْوَانُهَا وَمِنَ الجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ**) .
7. **الاستعارة** : في قوله تعالى (**يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ**) استعار التجارة للمعاملة مع الله تعالى لنيل ثوابه ، وشبهها بالتجارة الدنيوية وهي معاملة الخلق بالبيع والشراء لنيل الربح ثم رشحها بقوله (**لَّن تَبُورَ**) [3]

1- الكشاف جـ3 / 611 .

2- فتح القدير جـ4 / 349 .

3- صفوة التفاسير جـ3 / 576 .

(**ثُمَّ أَوْرَثْنَا الكِتَابَ**) أي أوحينا إليك الكتاب ثم أورثناه من بعدك أي حكمنا بتوريثه . (**الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا**) هم أمته من الصحابة والتابعين وتابعيهم ومن بعدهم إلى يوم القيامة ، لأن الله اصطفاهم على سائر الأمم وجعلهم أمة وسطاً ليكونوا شهداء على الناس ، واختصهم بكرامة الانتماء إلى أفضل رسله . . ثم قسم سبحانه هؤلاء إلى ثلاثة أقسام فقال : (**فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ**) فمن هؤلاء الذين أورثناهم الكتاب من هو مقصر في عمل الخير يتلو القرآن ولا يعمل به وهو الظالم لنفسه ، ومنهم من هو متوسط في فعل الخيرات والصالحات يعمل بالقرآن في أغلب الأوقات ، ويقصر في بعض الفترات وهو المقتصد ، ومنهم سابق بالخيرات (**بِإِذْنِ الله**) ، وقال ابن جزي : " وأكثر المفسرين أن هذه الأصناف الثلاثة من أمة محمد ε فالظالم لنفسه : العاصي والسابق التقي ، والمقتصد بينهما "[1] ، وقال الحسن البصري : السابق من رجحت حسناته على سيئاته ، والظالم لنفسه من رجحت سيئاته والمقتصد من استوت حسناته وسيئاته وجميعهم يدخلون الجنة " [2] ، وقال ابن عباس السابق بالخيرات يدخل الجنة بغير حساب والمقتصد يدخل الجنة برحمة الله ، والظالم لنفسه وأصحاب الأعراف يدخلون الجنة بشفاعة محمد ε " [3] .

(**جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا**) جنات إقامة ينعمون فيها بأنواع النعيم وهي مراتب ودرجات متفاوتة حسب تفاوت الأعمال ، وجمع " الجنات " لأنها جنات كثيرة وليست واحدة فهناك جنة الفردوس ، وعدن ، والنعيم والمأوى ، وجنة الخلد ، وجنة السلام ، وجنة عليين ، وفي كل جنة مراتب ونزل بحسب مراتب العاملين[4] . (**يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤاً**) يزينون في الجنة [أساور من ذهب مرصعة باللؤلؤ ، ومن الأولى تبعيضية ، والثانية بيانية أي يحلون بعض أساور كائنة من ذهب ، والأساور جمع أسوره وجمع سوار ، وانتصاب " لؤلؤاً " بالعطف على محل أساور وقريء بالجر عطفاً على ذهب [5] . (**وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ**) وجميع ما يلبسونه في الجنة من الحرير بل فرشهم وستورهم . قال القرطبي : " لما كانت الملوك تلبس في الدنيا الأساور والتيجان جعل الله لأهل الجنة ، وليس أحد من أهل الجنة إلا في يده ثلاثة أسوره : سوار من ذهب ، وسوار من فضة ، وسوار من لؤلؤ " [6].

(**وَقَالُوا الحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الحَزَنَ**) قرأ الجمهور " الحزن " بفتحتين . وقرأ جناح بن حبيش بضم وسكون الزاي . والمعنى : أنهم يقولون هذه المقالة إذا دخلوا الجنة . قال قتادة : حزن الموت

1- التسهيل في علوم التنزيل : لابن جزي ، جـ3 / 158 .
2- صفوة التفاسير ، جـ3 / 577 .
3- تفسير ابن كثير ، جـ3 / 555 .
4- صفوت التفاسير ، جـ3 / 577 .
5- فتح القدير ، جـ4 / 350 .
6- صفوت التفاسير ، جـ3 / 577 .

. وقال عكرمة : حزن السيئات والذنوب وخوف ردّ الطاعات . وقال القاسم : حزن زوال النعم وخوف العاقبة . وقيل حزن أهوال يوم القيامة . وقال الكلبي ما كان يحزنهم في الدنيا من أمر يوم القيامة . وقال سعيد بن جرير هم الخبز في الدنيا وقيل هم المعيشة . وقال الزجاج: أذهب الله عن أهل الجنة كل الأحزان ما كان منها لمعاش أو معاد . . وهذا أرجح الأقوال ، فإن الدنيا وإن بلغ نعيمها أي مبلغ لا تخلو من شوائب ونوائب تكثر لأجلها الأحزان . وخصوصاً أهل الإيمان فإنهم لا يزالون وجلين من عذاب الله خائفين من عقابه .[1]

(إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ) واسع المغفرة للمذنبين شكور لطاعة المطيعين.

(الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِ) أي أنزلنا الجنة وأسكننا فيها ، وجعلها مقراً لنا وسكناً ، لا نتحول عنها أبداً وكل ذلك من إنعامه وتفضله علينا ". **(لاَ يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ)** تعب ومشقة . **(وَلاَ يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ)** إعياء من التعب ولا فتور .

ويقول الإمام ابن كثير : " لا يمسنا فيها عناء ولا إعياء ، والنصب واللغوب كل منهما يستعمل في التعب وكأن المراد بنفي هذا وهذا عنهم لا تعب على أبدانهم ولا أرواحهم " .[2]

الآيات [36 : 37] :

(وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لاَ يُقْضَى عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلاَ يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ * وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحاً غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ أَوَ لَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن نَّصِيرٍ)

لما فرغ سبحانه عن جزاء عباده الصالحين ، ذكر جزاء عباده الطالحين فقال : **(وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لاَ يُقْضَى عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا)** أي لا يقضي عليهم بالموت فيموتوا ويستريحوا من العذاب . **(وَلاَ يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا)** أي لا يخفف عنهم شيء من العذاب بل هم في عذاب دائم مستمر لا ينقطع [3] . قرأ الجمهور " فيموتوا " بالنصب جواباً للنفي ، وقرأ عيسى بن عمر والحسن بإثبات النون[4]. **(كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ)** أي مثل ذلك الجزاء الفظيع نجزي كل من هو مبالغ في الكفر .

(وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا) من الصراخ وهو الصياح وهم يستغيثون في النار رافعين أصواتهم . **(رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحاً غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ)** أي أخرجنا من النار وردنا إلى الدنيا نؤمن بدل الكفر ونطع بعد المعصية . قال مقاتل: " ينادون ربنا أخرجنا نعمل صالحاً غير الذي كنا نعمل من الشرك

1- فتح القدير ، جـ4 / 351 .

2- تفسير ابن كثير ، جـ3 / 558 .

3- صفوة التفاسير ، جـ3 / 578 .

4- فتح القدير ، جـ4 / 354 .

والمعاصي ، فنجعل الإيمان منا بدل ما كنا عليه من الكفر ، والطاعة بدل المعصية ، وانتصاب صالحا على أنه صفة لمصدر محذوف : أي عملاً صالحاً ، أو صفة لموصوف محذوف أي نعمل شيئاً صالحاً ، قيل وزيادة قوله . **(غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ)** للتحسر على ما عملوه من غير الأعمال الصالحة مع الاعتراف منهم بأن أعمالهم في الدنيا كانت غير صالحة . فأجاب سبحانه عليهم : **(أَوَ لَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ)** الاستفهام هنا للتقريع والتوبيخ والواو للعطف على مقدر ، وما نكره موصوفة أي أو لم نعمركم عمراً يتمكن فيه من التذكير من تذكر . فقيل هو ستون سنة ، وقيل أربعون ، وقيل ثماني عشرة سنة . قال بالأول جماعة من الصحابة ، وبالثاني الحسن ومسروق وغيرهم ، وبالثالث عطاء وقتادة. **(وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ)** قال جمهور المفسرين هو النبي ε ، وقال عكرمة وسفيان بن عيينة ووكيع والحسن بن الفضل والفراء وابن جرير هو الشيب ، ويكون معناه على هذا القول أو لم نعمركم حتى شبتم ، وقيل هو القرآن ، وقيل الحمى ، قال الأزهري معناه أن الحمى رسول الموت ، وقيل موت الأهل والأقارب ، وقيل كمال العقل ، وقيل البلوغ [1] . **(فَذُوقُوا)** العذاب . **(فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن نَّصِيرٍ)** ناصر يعينهم .

الآيات [38 – 41]

(إِنَّ اللهَ عَالِمُ غَيْبِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ * هُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلاَئِفَ فِي الأَرْضِ فَمَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ وَلاَ يزِيدُ الكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ إِلاَّ مَقْتاً وَلاَ يزِيدُ الكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلاَّ خَسَاراً * قُلْ أَرَأَيْتُمْ شُرَكَاءَكُمُ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَوَاتِ أَمْ آتَيْنَاهُمْ كِتَاباً فَهُمْ عَلَى بَيِّنَةٍ مِّنْهُ بَلْ إِن يَعِدُ الظَّالِمُونَ بَعْضُهُم بَعْضاً إِلاَّ غُرُوراً *إِنَّ اللهَ يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ أَن تَزُولا وَلَئِن زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيماً غَفُوراً)

(إِنَّ اللهَ عَالِمُ غَيْبِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ) : هو تعالى العالم الذي أحاط علمه بكل ما خفي في الكون من غيب السموات والأرض ولا يخفي عليه شأن من شئونهما . **(إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ)** : يعلم جلّ وعلا مضمرات الصدور وما تخفيه من الهواجس والوساوس فكيف لا يعلم أعمالهم الظاهرة ؟

قال المفسرون : والجملة لتأكيدها ما سبق من دوام عذاب الكفار في النار ، لأن الله تعالى يعلم من الكافر أن الكفر تمكن في قلبه بحيث لو دام في الدنيا إلى الأبد ما آمن بالله ولا عبده ، فالعذاب الأبدي مساوٍ لكفرهم الأبدي ، فلا ظلم ولا زيادة .[2]

(هُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلاَئِفَ فِي الأَرْضِ) : جعلكم خلفاء في أرضه ملككم مقاليد التصرف فيها وسلطكم على ما فيها وأباح لكم منها لتشكروه بالتوحيد والطاعة . **(فَمَن كَفَرَ)** : منكم وغمط مثل هذه

1- فتح القدير ، جـ4 / 354 – 355 .

2- صفوة التفاسير جـ3 / 579 .

النعمة السنية . **(فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ)** : فو بال كفره راجع عليه وهو مقت الله وخسارة الآخرة . [1] ويقول الإمام الشوكاني: " ضرر كفره لا يتعداه إلى غيره " [2] **(وَلاَ يَزِيدُ الكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ إِلاَّ مَقْتاً)** : غضباً وبغضاً . **(وَلاَ يَزِيدُ الكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلاَّ خَسَاراً)** : نقصاً وهلاكاً . والمعنى أن الكفر لا ينفع عند الله حيث لا يزيدهم إلا المقت ولا ينفعهم في أنفسهم حيث لا يزيدهم إلا الخسران .

(قُلْ أَرَأَيْتُمْ شُرَكَاءَكُمُ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ الله) : أخبروني عن الشركاء الذين اتخذتموهم آلهة وعبدتموهم من دون الله وجملة : **(أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الأَرْضِ)** بدل اشتمال من أرأيتم . والمعنى أخبروني عن شركائكم أروني أي شيء خلقوا من الأرض " .[3] ويقول الإمام النسفي معنى الآية الكريمة: " أخبروني عن هؤلاء الشركاء وعما استحقوا به الشركة . أروني أي جزء من أجزاء الأرض استبدوا بخلقه دون الله ؟ " [4] . **(أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَوَاتِ)** : أم لهم مع الله شركة في خلق السموات . **(أَمْ آتَيْنَاهُمْ كِتَاباً)** : أم أنزلنا عليهم كتاباً بالشركة . **(فَهُمْ عَلَى بَيِّنَةٍ مِّنْهُ)** : أي على حجة ظاهرة واضحة من ذلك الكتاب . وقرأ ابن كثير وأبو عمر وحمزة وحفص عن عاصم **(بَيِّنَةٍ)** بالتوحيد . وقرأ الباقون بالجمع . وقال مقاتل : يقول هل أعطينا كفار مكة كتاباً ، فهم على بيان منه بأن مع الله شريكاً . **(بَلْ إِن يَعِدُ الظَّالِمُونَ بَعْضُهُم بَعْضاً إِلاَّ غُرُوراً)** ما يعد الظالمون بعضهم بعضاً كما يفعله الرؤساء والقادة من المواعيد لأتباعهم إلا غروراً يغرونهم ويزينونه لهم ، وهو الأباطيل التي تغر ولا حقيقة لها ، وذلك قولهم : إن هذه الآلهة تنفعهم وتقربهم إلى الله. وتشفع لهم عنده وقيل إن الشياطين تعد المشركين بذلك .وقيل المراد بالوعد الذي يعد بعضهم بعضاً هو انهم ينصرون على المسلمين ويغلبونهم .[5]

(إِنَّ اللهَ يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ أَن تَزُولا) يمنعهما من أن تزولا لأن الإمساك منع " . **(وَلَئِن زَالَتَا)** على الفرض . **(إِنْ أَمْسَكَهُمَا)** ما أمسكهما. **(مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ)** من بعد إمساكه . و"من" الأولى مزيدة لتأكيد النفي والثانية للابتداء . **(إِنَّهُ كَانَ حَلِيماً غَفُوراً)** إنه تعالى حليم لا يعاجل العقوبة للكفار مع استحقاقهم لها واسع المغفرة والرحمة ممن تاب منهم [6]

الآيات [42 : 45]

(وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِن جَاءَهُمْ نَذِيرٌ لَّيَكُونُنَّ أَهْدَى مِنْ إِحْدَى الأُمَمِ فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ مَّا زَادَهُمْ إِلاَّ نُفُوراً * اسْتِكْبَاراً فِي الأَرْضِ وَمَكْرَ السَّيِّئِ وَلاَ يَحِيقُ المَكْرُ السَّيِّئُ إِلاَّ بِأَهْلِهِ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ

1- تفسير النسفي جـ2 / 391 .
2- فتح القدير جـ4 / 355 .
3- المرجع السابق جـ4 / 355 .
4- تفسير النسفي جـ2 / 391 .
5- فتح القدير جـ4 / 355 .
6- صفوة التفاسير جـ3/ 580 .

سُنَّةَ الأَوَّلِينَ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلاً وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلاً * أَوَ لَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَكَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِن شَيْءٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلاَ فِي الأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيماً قَدِيراً * وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا مِن دَابَّةٍ وَلَكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِ بَصِيراً)

(وَأَقْسَمُوا بِاللهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ) حلف المشركون بالله أشد الأيمان وأبلغها قال الصاوي : كانوا يحلفون بآبائهم وأصنامهم فإذا أراد التأكيد والتشديد حلفوا بالله. **(لَئِن جَاءَهُمْ نَذِيرٌ)** جاءهم رسول منذر " . **(لَّيَكُونُنَّ أَهْدَى مِنْ إِحْدَى الأُمَمِ)** أي ليكونن أهدى من جميع الأمم الذين أرسل الله إليهم الرسل من أهل الكتاب .

قال أبو السعود : بلغ قريشاً قبل مبعث رسول الله ε أن أهل الكتاب كذبوا رسلهم فقالوا : لعن الله اليهود والنصارى أتتهم الرسل فكذبوهم ، فوالله لئن آتانا رسول لنكو نن أهدى من اليهود والنصارى وغيرهم [1].

(فلما جَاءَهُمْ) ما تمنوه ، وهو رسول الله ε الذي هو أشرف **(نَذِيرٌ)** وأكرم مرسل من أنفسهم . **(ما زَادَهُمْ)** : مجيئه . **(إِلاَّ نُفُوراً)** ما زادهم مجيئ الرسول ε إلا تباعداً عن الحق .

(اسْتِكْبَاراً فِي الأَرْضِ) أي لأجل الاستكبار والعتو . (و) لأجل **(وَمَكْرَ السَّيِّئِ)** أي مكر العمل السيء أو مكروا المكر السيئ ، والمكر هو الحيلة والخداع والعمل القبيح . **(وَلاَ يَحِيقُ المَكْرُ السَّيِّئُ إِلاَّ بِأَهْلِهِ)** لا تنزل عاقبة السوء إلا بمن أساء . **(فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ سُنَّةَ الأَوَّلِينَ)** وهو إنزال العذاب على الذين كذبوا برسلهم من الأمم قبلهم . والمعنى فهل ينظروا بعد تكذيبك إلا أن ينزل بهم العذاب ، مثل الذي نزل بمن قبلهم من مكذبي الرسل . **(فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللهِ تَبْدِيلاً وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلاً)** بين أن سنته في الانتقام من مكذبي الرسل سنة لا يبدلها ذاتها ولا يحولها عن أوقاتها وإن ذلك مفعول لا محالة .

(أَوَ لَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ) استشهد عليهم بما كانوا يشاهدونه من مسايرهم إلى الشام واليمن والعراق من آثار الماضين وعلامات هلاكهم ودمارهم [2] . **(وَكَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً)** وكانوا أقوى من أهل مكة أجساداً وأكثر منهم أموالاً وأولاداً . **(وَمَا كَانَ اللهُ لِيُعْجِزَهُ مِن شَيْءٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلاَ فِي الأَرْضِ)** ما كان ليسبقه ويفوته شيء من الأشياء كائناً ما كان فيهما .**(إِنَّهُ كَانَ عَلِيماً قَدِيراً)** كثير العلم والقدرة لا يخفي عليه شيء ولا يصعب عليه أمر .

1- صفوة التفاسير جـ3/ 580 .

2- تفسير النسفي جـ2 / 391 – 392 .

(**وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا**) من الذنوب وعملوا من الخطايا .(**مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا**) أي الأرض . (**مِن دَابَّةٍ**) من الدواب التي تدب كائنة ما كانت ، أما بني آدم فلذنوبهم . وأما غيرهم فلشؤم معاصي بني آدم . وقيل المراد ما ترك على ظهرها دابة تدب من بني آدم والجن قال بالأول ابن مسعود وقتادة . وبالثاني الكعبي .(**وَلَكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى**) وهو يوم القيامة . (**فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ اللهَ كَانَ بِعِبَادِهِ بَصِيراً**) بمن يستحق منهم الثواب ومن يستحق منهم العقاب ، وفي هذا تسلية للمؤمن ، ووعيد للكافرين .[1]

واشتملت الآيات الكريمة على صور بيانية منها :

1. **الإطناب** بتكرار الفعل " لا يمسنا فيها نصب ولا يمسنا فيها لغوب للمبالغة في انتفاء كل منهما استقلالاً ، وكذلك الإطناب في قوله : (**وَلاَ يَزِيدُ الكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ إِلاَّ مَقْتاً وَلاَ يَزِيدُ الكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلاَّ خَسَاراً**) لزيادة التشنيع والتقبيح على كفرهم بالله .
2. **التهكم** في صيغة الأمر (**فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن نَّصِيرٍ**) .
3. **المبالغة** مثل " غفور ، شكور ، كفور ، حليماً ، عليماً ، قديراً " فإنها من صيغ المبالغة .
4. **الاستفهام الإنكاري** للتوبيخ (**أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الأَرْضِ**) وكذلك قوله تعالى : (**أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَوَاتِ**) .
5. **الاستعارة المكنية** في قوله تعالى : (**مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا مِن دَابَّةٍ**) شبه الأرض بدابة تحمل على ظهرها أنواعاً من المخلوقات ثم حذف المشبه به ورمز إليه بشيء من لوازمه وهو الظهر بطريق الاستعارة المكنية .[2]

1- فتح القدير جـ4 / 357 ، النسفي جـ2 / 392 ، صفوت التفاسير جـ3 / 581 .

2- صفوة التفاسير جـ3 / 582 .

الفصل الرابع
ألفاظ العدل الفقهية

فـــــى
القـــرآن الكريـم

المقدمـــة

ألفاظ العَدلِ الفقهية في القرآن الكريم

(دارسة موضوعية)

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام علي أشرف الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد وعلي آله وصحبه ومن تبع دعوته وسار علي سنته إلي يوم الدين ..

أمـــا بعـــد ...

فهذا البحث يجمع ألفاظ العدل الفقهية التي وردت في كتاب الله – تبارك وتعالي – كعدالة كاتب الدين وعدالة ولاة الأمور وعدالة القضاة والشهود والعدالة بين الزوجات عند التعدد وعدالة الكيل والميزان والقسط .

وقبل أن نورد هذه الأحكام يجد بنا أن نعرف العدل لغة واصطلاحاً .

التعريف اللغوي لكلمة " العدل " :

جاء في لسان العرب ما نصه "العدل ما قام فى النفوس أنه مستقيم وهو ضد الجور وعدل الحاكم فى الحكم يعدل عدلاً . وهو عادل من قوم عدول ، وبسط الوالى عدله ومعدلته . وفى أسماء الله سبحانه "العدل" وهو الذى لا يميل به الهوى فيجور فى الحكم ، والعدل ما عادل الشئ من غير جنسه ومعناه فداء ذلك ، والعدل: المثل تقول : عندى عدل غلامك وعدل شاتك إذا كانت شاة تعدل شاة أو غلام يعدل غلاماً ، وقال الزجاج العدل والعدل واحد فى المثل" [1].

واصطلاحاً : ورد تعريف العدل فى القرآن الكريم شاملاً لجميع المعانى اللغوية .

فقد ورد بمعني إقامة الحق بين الناس جميعاً ، قال تعالي : (**إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ**)[2]. فالمراد من الآية الكريمة التسوية في الحقوق فيما بينكم وترك الظلم وإيصال كل ذي حق حقه[3]. وقال تعالي : **(وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ)**[4] وورد العدل بمعني الفدية ، **(وَلَا**

([1]) لسان العرب للإمام جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور مادة عدل (جـ 11 / 430 – 435) دار بيروت للطباعة والنشر ط1956 ، المصباح المنير كتاب العنين مع الدال وما يثلثهما ص (150).

([2]) سورة النحل ، آية (90) .

([3]) تفسير الإمام النسفى ، (جـ1 /653) ، الكشاف للإمام الزمخشرى (جـ2/424) ما نصه "العدل هو الواجب أن الله تعالى عدل فيه على عباده فجعل ما فرضه عليهم واقعاً تحت طاقتهم" ط دار الفكر (1983) .

([4]) سورة الشوري ، آية (15) .

يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ) [1] ، وقال تعالي **(وَإِنْ تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ لَا يُؤْخَذْ مِنْهَا)**[2] وإن تفد كل فداء لا يؤخذ منه [3] ، وجاء العدل بمعني ما عادل الشئ من غير جنسه كالصوم والإطعام قال تعالي : **(أَوْ عَدْلُ ذَلِكَ صِيَامًا)**[4]، أي فداء ذلك .

وقال الفراء : العدل ما عادل الشئ من غير جنسه كالصوم والإطعام والعدل مثله من جنسه[5].

وورد في القرآن بمعني العدول عن الشئ قال تعالي : **(ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ)** [6]، أي يساوون به الأوثان تقول عدلت بذا أي ساويته به . واقتصر البحث علي ألفاظ العدل العدل الفقهية التي وردت في كتاب الله –Y– كعدالة كاتب الدين وعدالة الحكام ولاة الأمور وعدالة الشهود كالإشهاد علي كتابة الدين والإشهاد على من قتل صيد البر وهو محرم والإشهاد علي الوصية في السفر والإشهاد عند الطلاق والرجعة، وعدالة الميزان والقسط.

([1]) سورة البقرة ، آية (48) .

([2]) سورة الأنعام ، آية (70) .

([3]) المفردات في غريب القرآن ، ص (325) .

([4]) سورة المائدة ، آية (95) .

([5]) الكشاف للإمام الزمخشرى (جـ1 / 645) .

([6]) سورة الأنعام ، آية (1) .

وضعت الشريعة الإسلامية منهجاً فريداً لحفظ الأموال من الضياع في حالة التعامل بها إلي أجل مسمي أن تكتب وتدون سواء كان عن طريق التبايع بالأجل أو الاقتراض والسلف إلي زمن معين ، قال تعالي : **(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدَيْنٍ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى فَاكْتُبُوهُ)**[1]، فالمراد من الدين في الآية عام يتناول القرض والسلم وبيع الأعيان إلي أجل مسمي [2].

فإذا تعاملتم نسيئة بما تصح فيه الأجل كبيع سلعة حاضرة بنقود مؤجلة أو بسلعة أخري مؤجلة ، وكبيع سلعة مؤجلة إلي أجل مسمي مع معرفة الجنس والنوع والقدر بثمن حال وهو السلم فاكتبوه مع بيان الأجل بالأيام أو الأشهر أو غيرها بطريقة ترفع الجهالة[3].

فصيانة لحفظ الأموال من الضياع والهلاك في حالة التعامل بها إلي أجل مسمي أن تكتب وتدون إلي وقت سدادها سواء كان المال قليلاً أم كثيراً ، مصداقاً لقوله تعالي **(وَلَا تَسْأَمُوا أَنْ تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَى أَجَلِهِ)** [4]، أي لا تملوا أو تضجروا من كتابة الدين أو أو الحق سواء كان صغيراً أو كبيراً مبيناً ثبوته في الذمة إلي أجله المسمي . وهذا دليل علي أن الكتابة من الأدلة التي تعتبر عند استيفاء شروطها ، كما أن الكتابة واجبة في القليل والكثير ، ولذلك قدم الصغير الذي يتهاون فيه الناس لعدم مبالاتهم بضياعه. [5].

([1]) سورة البقرة آية (282) .

([2]) تفسير المنار للشيخ محمد رشيد رضا جـ3 / 100 ، ط دار الكتب المصرية .

([3]) تفسير أبى المسعود جـ311/1 يرى أن الآجل المسمى يكون بالأيام أو الأشهر ونظيرهما مما يفيد العلم ويرفع الجهالة لا بالحصاد أو الدياس ونحوها مما لا يرفعها ، دار الفكر .

([4]) سورة البقرة آية (282) .

([5]) تفسير المنار ، (جـ1 / 104).

ويقول الإمام النسفي عند تفسيره لقوله تعالي : **(وَلَا تَسْأَمُوا)** أي ولا تملوا والضمير في " أن تكتبوه " للدين أو الحق ، (صغيراً أو كبيراً) علي أي حال كان الحق من صغر أو كبر ، (إلي أجله) أي وقته الذي اتفق عليه الغريمان ، **(ذَلِكُمْ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ) أي أعدل عند الله ، (وَأَقْوَمُ لِلشَّهَادَةِ) وأعون علي إقامة الشهادة ، (وَأَدْنَى أَلَّا تَرْتَابُوا)** اقرب من انتفاء الريب للشاهد والحاكم ولصاحب الحق فإنه قد يقع الشك في المقدار والصفات وإذا رجعوا إلي المكتوب زال ذلك.[1]

صفة كاتب الدين : بين القرآن الكريم أن الذي يتولى كتابة الدين بين الدائن والمدين أن يكون عدلاً إذ يقول المولي- Y- **(وَلْيَكْتُبْ بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ)** [2] . فالواجب في كاتب الدين أن يكون عدلا في كتابته يساوي بين المتعاملين لا يميل إلي أحدهما فيجعل له من الحق ما ليس له ولا يميل عن الآخر فيبخسه من حقه شيئا. [3] وإن العدل في الكاتب يستلزم العلم بشروط المعاملات التي تحفظ الحقوق لأن الكاتب الجاهل قد يترك بعض الشروط أو يزيد فيها أو يبهم في الكتابة بجهله.

فيلبس بذلك الحق بالباطل ويضع حق أحد المتعاملين كما يضع بتعمد الترك أو الزيادة أو الإبهام إذ لم يكن عادلا " [4]

فالواجب في الكاتب العادل الأمانة في الكتابة فلا يزيد ولا ينقص ويضاف إلي الأمانة أن يكون فقيها عالما بفقه المعاملات حتي يكتب ما هو متفق عليه .

ومن عدالة الكتابة أن الذي يتولي إملاء الدين علي الكاتب هو المدين ، لأنه المطالب والمكلف بأداء مضمون الكتابة فاللازم أن تكون الكتابة كما يراه ويعلمه"[5] إذ يقول المولي-Y- (**وَلْيُمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْئًا)** [6] ويقول الامام ابن كثير عند

([1]) تفسير الإمام النسفي (جـ 1 / 156 – 157) ، تفسير أبى السعود (جـ311/1).

([2]) سورة البقرة آية (281) .

([3]) تفسير المنار (جـ 3 / 100) ، ويقول الإمام ابن العربي في أحكام القرآن ما نصه " فيه إشارة ظاهرة إلي أنه يكتبه بجميع صفاته المبينة له المعربة عنه المعرفة للحاكم بما يحكم عند ارتفاعهما إليه " ، (جـ298/1 – 299).

([4]) تفسير المنار (جـ 3 / 100) ، الإمام النسفي (جـ 1 / 156) .

([5]) تفسير آيات الأحكام للشيخ علي السايس (جـ 1 / 163) .

([6]) سورة البقرة آية (282) .

تفسيره للآية الكريمة سالفة الذكر " وليملل المدين علي الكاتب ما في ذمته من الدين وليتق الله في ذلك ولا يكتم منه شيئا "[1].

حالة فقد المدين القدرة على الإملاء : اذا كان المدين غير قادر علي الإملاء لوجود أحد عوارض الأهلية ككونه سفيها أي مجنونا لأن السفه خفة في العقل أو محجورا عليه لتبذيره وجهله بالتصرف أو ضعيفا ككونه صبيا أو لا يستطيع أن يمل لعي به أو أخرس أو جهله باللغة ففي هذه الحالات التي أشار إليها القرآن الكريم فإن الذي يتولى الإملاء من يلي أمره ويقوم به . فقد ذكر المولي – Y– هذا في قوله تعالي : (**فَإِنْ كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُمِلَّ هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُ بِالْعَدْلِ)**[2] وذكر الإمام ابن العربي في تفسيره أربعة أقوال في معني السفه

الأول : أنه الجاهل .

الثاني : الصبي .

الثالث : المرأة والصبي .

الرابع : المبذر . لما له المفسد لدينه . [3]

قسم علماء أصول الفقه عوارض الأهلية إلي قسمين العوارض السماوية وتشتمل علي الجنون والعته والنسيان والنوم والاغماء والمرض والموت ، وأما العوارض المكتسبة فتتناول الجهل والخطأ والهزل والسفه والسكر " [4]

عدالـــــــــة ولاة الأمـــــــور

أمر المولي – Y – الحكام ولاة الأمور في كثير من الآيات القرآنية الحكم بالعدل بين الناس جميعا . قال تعالي (**وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ**

([1]) تفسير الإمام ابن كثير (جـ 1 / 447) ، ويقول الإمام الخازن ما نصه "إن المطلوب الذى عليه الحق يقر على نفسه بلسانه ليعلم ما عليه من الحق فيذكر قدره وجنسه وصفه الآجل" لباب التأويل فى معانى التنزيل للإمام علاء الدين على بن محمد بن إبراهيم الشهير بالحازن (جـ305/1(– ط الثانية (1995) .

([2]) سورة البقرة آية (281) .

([3]) أحكام القرآن لابن العربي (جـ 1 / 300) ، أصول الفقه للشيخ محمد الخضري ص(118) ط دار الحديث.

([4]) الوجيز في علم أصول الفقه للدكتور عبدالكريم زيدان ص (103 – 121) .

إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا) [1] ويقول الإمام ابن كثير " الآية الكريمة نزلت في الأمراء الحكام بين الناس " [2] .

ويقول المولي – Y– : **(يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ)** [3] فهذه وصية من الله –Y– لولاة الأمور أن يحكموا بين الناس بالحق المنزل من عنده – تبارك وتعالي – ولا يعد لون عنه فيضلوا عن سبيل الله وقد توعد المولي – Y– من ضل عن سبيله وتناسى يوم الحساب بالوعيد والعذاب الشديد " [4] .

ويقول الإمام الشوكانى عند تفسير قوله تعالى " **فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ**" أى بالعدل الذى هو حكم الله بين عباده[5].

وقد بشر رسول الله –ρ– الولاة والحكام المقسطين بين الناس بالحق والعدل بالنور التام يوم القيامة. فعن زهير – τ– قال : قال رسول الله – ρ–: إن المقسطين عند الله علي منابر من نور عن يمين الرحمن وكلتا يديه يمين الذين يعدلون في حكمهم وأهليتهم وما ولوا.[6] فيشير فيشير هذا الحديث أن العادل من الأئمة والولاة والحكام لهم أعظم أجرا من جميع الأنام بإجماع أهل الإسلام لأنهم يقومون بجلب كل صالح كامل ودرء كل فاسد شامل . فإذا أمر الإمام بجلب المصالح العامة ودرء المفاسد العامة كان له أجر بحسب ما دعا إليه ولو كان ذلك بكلمة واحدة لأجر عليها بعدد متعلقاتها[7].

ويقول المولي – Y– مخاطبا سيدنا محمد – ρ– في شأن الحكم بالعدل **(وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ)**[8].

([1]) سورة النساء آية (58) .

([2]) تفسير الإمام ابن كثير (جـ 1 / 672) .

([3]) سورة ص آية (26) ، ويقول الإمام أبى السعود عند تفسير هذه الآية : "استخلفناك على الملك فيها والحكم فيما بين أهلها أو جعلناك خليفة عمن كان قبلك من الأنبياء القائمين بالحق" ط دار الفكر .

([4]) قواعد الأحكام في مصالح الأنام للإمام العز بن عبدالسلام (جـ 1 / 96) .

([5]) فتح القدير للإمام محمد بن على الشوكانى (جـ4/429) ، ط الثانية (1964) – مصطفى الباب الحلبى .

([6]) أخرجه الإمام مسلم في كتاب الامارة باب فضيلة الامام العادل (جـ 2 / 279) .

([1]) قواعد الأحكام في مصالح الأنام للمعز بن عبدالسلام (جـ 1 / 96) ، الأشباه والنظائر في قواعد وفروع الشافعية للإمام السيوطي (جـ 2 / 684) .

([8]) سورة المائدة آية (42) .

وسبب نزول الآية الكريمة أن البراء بن عازب قال : مر علي رسول الله–ρ– بيهودي محمما مجلودا فدعاهم فقال رسول الله – ρ – : أهكذا تجدون حد الزاني المحصن في كتابكم ؟ قالوا : نعم فدعا رجلا من علمائهم فقال أنشدك الله الذي أنزل التوراة علي موسي عليه السلام : هكذا تجدون حد الزاني في كتابكم ؟ قال : ولولا أنك نشدتني لم أخبرك نجد حد الزاني في كتابنا الرجم ولكن كثر في أشرافنا فكنا إذا أخذنا الشريف تركناه وإذا أخذنا الوضيع أقمنا عليه الحد ، فقلنا : تعالوا نجتمع علي شيء نقيمه علي الشريف والوضيع فاجتمعنا علي التحميم والجلد مكان الرجم ، فقال رسول الله – ρ – " اللهم إني أول من أحيا أمرك إذ أماتوه فأمر به فرجم " [1] فيشير هذا النص الي أن إقامة العدل في الحكم عامة شاملة بين الناس جميعا بغض النظر عن دينهم الذي يدينون به أو جنسيتهم التي ينتموا إليها فالكل أمام حكم الله سواء .

وقد بين رسول الله – ρ– أجر الحاكم إذا اجتهد في حكمه فأصاب أو أخطأ . فعن عمرو بن العاص – τ – أنه سمع رسول الله – ρ– يقول : " إذا حكم الحاكم فاجتهد ثم أصاب فله أجران وإذا حكم فاجتهد ثم أخطأ فله أجر " [2]

([1]) أسباب النزول للواحدي ص (108 – 109) ، لباب النقول للإمام السيوطي ص (110) .

([2]) أخرجه الإمام مسلم في كتاب الأقضية ، باب أجر الحاكم إذا اجتهد فأصاب أو أخطأ (جـ 2 /214) .

أمر المولي – Y– في كثير من الآيات القرآنية القضاة أن يتحروا العدل في الحكم بين الناس جميعا . قال تعالي (**إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ**) [1] فالمراد من الآية الكريمة التسوية في الحقوق فيما بينكم وترك الظلم وإيصال كل ذي حق إلي حقه . [2] كما أمر المولي – Y– رسوله الكريم سيدنا محمد – ρ– القضاء بالعدل في قوله تعالي (**وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ**)[3] أي في الحكم إذا تخاصمتم فتحاكمتم إليّ .

وقوله تعالي : (**وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى**) [4] فاصدقوا ولو كان المقول له أو عليه في شهادة أو غيرها من أهل قرابة القائل [5] وقوله تعالي (**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَى بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَى أَنْ تَعْدِلُوا وَإِنْ تَلْوُوا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا**) [6]

وروي أسباط عن السدي قال : " إنها نزلت في النبي – ρ– اختصم إليه غني وفقير وكان – ρ – مع الفقير رأي أن الفقير لا يظلم الغني فأبي الله تعالي إلا أن يقوم بالقسط في الغني والفقير " [7] ويقول المولي – Y– في سورة المائدة " **وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى**" [8] ويقول الامام ابن كثير عند تفسيره للآية الكريمة سالفة الذكر " ولا يحملنكم بغض قوم علي ترك العدل فيهم بل استعملوا العدل في كل أحد صديقا كان أو عدواً . ولهذا قال تعالي : " **اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى** " أى عدلكم أقرب إلي التقوي من تركه[9].

([1]) سورة النحل ، آية (90) .

([2]) تفسير الإمام النسفي ، (جـ1 / 653) .

([3]) سورة الشوري ، آية (15) .

([4]) سورة الأنعام ، آية (152) .

([5]) تفسير النسفي ، (جـ1 / 397) .

([6]) سورة النساء ، آية (135) .

([7]) أسباب النزول للواحدي ، ص (102) ، لباب النقول للإمام السيوطي ، ص (101) .

([8]) سورة المائدة ، آية (8) .

([9]) تفسير الإمام ابن كثير ، (جـ2 / 40) ، فتح القدير للإمام الشوكانى (جـ20/2) .

ووضعت السنة النبوية علي صاحبها أفضل الصلاة وأتم التسليم عدّة وسائل احترازية عند القضاء بين الناس تهدف إلي تحقيق العدالة بين المتخاصمين نذكر منها ما يلي :

أ – **التحذير من الحجة الباطلة :** فعن أم سلمة – رضي الله عنها – قالت : قال رسول الله – ρ – " إنكم تختصمون إليَّ ولعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض فأقضي له على نحو ما أسمع منه فمن قطعت له من حق أخيه فلا يأخذه فإنما أقطع له قطعة من النار "[1].

ب – **ألا يحكم القاضي وهو غضبان أو جوعان أو عطشان :** فعن عبدالرحمن بن أبي بكرة قال كتب أبي وكتبت له إلي عبيد الله بن أبي بكرة وهو قاصٍ بسجستان لا تحكم بين اثنين وأنت غضبان ، فإني سمعت رسول الله – ρ– يقول " لا يحكم أحد بين اثنين وهو غضبان " [2]. ومما يلحق بالغضب الجوع والعطش وما يشغل القلب ويشوش الفكر من غلبة النعاس أو الهم أو المرض[3].

ج – **النهي عن الشفاعة عند القاضي :** عن عائشة أم المؤمنين – رضي الله عنها " أن قريشاً أهمتهم المرأة المخزومية التي سرقت فقالوا ومن يكلم رسول الله–ρ– ومن يجترئ عليه إلا أسامة بن زيد حب رسول الله –ρ– فكلم رسول الله –ρ– فقال : أتشفع في حدٍ من حدود الله ، ثم قام فخطب فقال : يا أيها الناس إنما هلك من قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد وأيم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطع محمد – ρ– يدها[4].

د – **النهي عن طلب الدخول في القضاء :** فقد روي عن أبي ذر – τ– قال : قلت يا رسول الله ألا تستعملني ، فقال : فضرب بيده علي منكبي ثم قال : يا أبا ذر إنك ضعيف وإنها أمانة وإنها يوم القيامة خزي وندامة إلا من أخذها بحقها وأدي الذي عليه فيها " [5].

([1]) أخرجه الإمام مسلم في كتاب الأقضية باب الحكم بالظاهر واللحن بالحجة ، (جـ2 / 211) .

([2]) صحيح مسلم كتاب الأقضية باب كراهية قضاء القاضي وهو غضبان ، (جـ2 / 214) .

([3]) سبل السلام للإمام الصنعاني ، (جـ 2 / 214) .

([4]) أخرجه الإمام البخاري في كتاب الحدود باب كراهية الشفاعة ، (جـ2 / 245) .

([5]) أخرجه الإمام مسلم في الإمارة ، باب كراهية الإمارة بغير ضرورة ، (جـ2 / 279) .

وعن عبدالله بن أبي أوفي أن النبي – ρ– قال : " إن الله مع القاضي ما لم يجر فإذا جار تخلي الله عنه ولزمه الشيطان " [1].

وقد روي سعيد المقبري أن رسول الله –ρ – قال : " من ولي القضاء فقد ذبح نفسه بغير سكين " [2].

تعرض لذبح نفسه وإهلاكها بتوليه القضاء فإنها ترجع إلي الذين لا علم لهم بالحق ولا قدرة علي الصدع به ولا يتمكنون من ضبط أنفسهم ولا كبح جماحها ومنعها من الميل إلي الهوي ولا يفضل إعطاء الفضاء لمن يطلبها " [3].

([1]) أخرجه الإمام الترمذي في كتاب الأحكام باب ما جاء في الإمام العادل ، وقال : حسن غريب ، ص(359)، ط دار الفجر للتراث ، (2013 م) .

([2]) أخرجه الإمام أبو داود فى كتاب الأقضية باب فى طلب القضاء (جـ298/3) ، تحقيق محمد محى الدين عبدالحميد ، ط دار الكتب العلمية .

([3]) موسوعة الفقه الإسلامي المعاصر ، (جـ2 / 307) ، الأشباه والنظائر في قواعد وفروع الشافعية ، (جـ684/2) ، ما نصه : " العدالة في الولايات علي الغير كالإمامة الكبري والقضاء وأمانة الحكم والوصاية ومباشرة الأوقاف والسعاية في الصدقات وما أشبه ذلك لما في الاعتماد علي الفاسق في شئ منها الضرر العظيم .

وقد وضع الفقهاء عدة شروط في تعيين القضاة ولعل من أبرزها :

أولاً:- العدالة أي عدم التجريح بأن لم يرتكب كبيرة ولم يصر علي صغيرة واجتناب ما يخل بمروءة أمثاله . فالعدالة تتحقق بكون الشخص صادق اللهجة ظاهر الأمانة عفيفاً عن المحارم ، متوخياً المآثم بعيداً عن الريب مأموناً في الرضا والغضب صاحب مروءة [1].

ثانياً:- أهلية الاجتهاد بأن يكون فقيه النفس شديد الفهم بالطبع والمراد من ذلك أن يكون الفقه له سجية وأن يكون عارفاً بالدليل العقلي ولا يكفي الدليل العقلي وحده فلا يستعمل أدلة العقول في الإثبات إلا قائمة علي الأدلة السمعية فلا تستعمل مستقلة [2].

وقد بين رسول الله – ρ– كيف يقضي القاضي إذا عرضت عليه المسألة فمن معاذ بن جبل أن رسول الله – ρ– لما أراد أن يبعث معاذ بن جبل إلي اليمن قال " كيف تقضي إذا عرض لك قضاء ؟ " قال : أقضي بكتاب الله ، قال : " فإن لم تجد في كتاب الله ؟ " قال فبسنة رسول الله –ρ– ، قال : " فإن لم تجد في سنة رسول الله – ρ– ولا في كتاب الله ؟ " ، قال : أجتهد رأيي ولا ألو . فضرب رسول الله – ρ– صدره وقال: الحمد لله الذي وفق رسول رسول الله لما يرضي رسول الله " [3].

وثبت في السنن أن علياً – τ– قال : بعثني رسول الله – ρ– إلي اليمن قاضياً ، فقلت : يا رسول الله . ترسلني وأنا حديث السَّنَّ ولا علم لي بالقضاء ، فقال: " إن الله

([1]) الأشباه والنظائر في قواعد وفروع الشافعية للإمام السيوطي ، (جـ2 / 684) .

([2])الكافي في فقه الإمام أحمد ، (جـ 4 / 290) ، موسوعة الفقه المعاصرة ، (جـ2 / 309) ، القواعد الفقهية بين الأصالة والتوجيه ، أ.د./ محمد بكر إسماعيل ، ص (186) .

([3]) سسن أبى داود كتاب الأقضية باب اجتهاد الرأى فى القضاء (جـ303/3) .

وقال الإمام الترمذي ضعيف وجاء بلفظ عن أصحاب معاذ عن معاذ أن رسول الله – ρ– بعث معاذاً إلي اليمن فقال : كيف تقضي ؟ " قال : أقضي بما في كتاب الله ، قال : " فإن لم يكن في كتاب الله ؟ " قال فبسنة رسول الله قال : " فإن لم يكن في سنة رسول الله ؟ قال : أجتهد رأيى ، قال : الحمد لله الذي وفق رسول الله " .

سيهدي قلبك ويثبت لسانك ، فإذا جلس بين يديك الخصمان فلا تقضين حتي تسمع من الآخر كما سمعت من الأول ، فإنه أحري أن يتبين لك القضاء " ، قال : فما زلت قاضياً أو ما شككت في قضاء بعد " [1].

وفي الحديث دلالة علي أنه يحرم علي الحاكم أن يحكم قبل أن يسمع حجة كل واحد من الخصمين واستفصال ما لديه .

([1]) أخرجه أبو داود كتاب الأقضية ، باب كيف القضاء ، (جـ3 /301) ، وأخرجه ابن ماجه في كتاب الأحكام ، باب ذكر القضاة ، ص (240) ، مكتبة الصفا ، ط (2014) .

عـدالة الأزواج

عند الجمع بين الزوجات

إن مـن مقاصـد الشـريعة الإسـلامية مـن عقـد الـزواج هـو بنـاء الأسـرة علـي المـودة والرحمـة ورعايـة النشـئ قـال تعـالي : **(وَمِنْ آيَاتِـهِ أَنْ خَلَـقَ لَكُـمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًـا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَـةً إِنَّ فِـي ذَلِكَ لَآيَـاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ)**[1]. كما حددت الشريعة عدد الزوجات وقدرتهن بأربعة ، قال تعالي : **(فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ)** [2].

فالآيـة الكريمـة سـالفة الذكر أباحت التعدد بين الزوجات لمن يملك القدرة علي إقامـة العدالـة بينهن فـي النفقـة والسكن والمبيت . والآيـة الكريمـة لهـا سبب نـزول لكن العبرة بعمـوم اللفظ لا بخصـوص السبب . فقد ثبت فـي الصـحيح عن أم المؤمنين عائشـة – رضـي الله عنهـا – أن عروة بن الزبير سألها عن قولـه تعـالي : **(وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِـطُوا فِـي الْيَتَـامَى)** فقالـت : يـا ابـن أختـي هـذه اليتيمـة تكون فـي حجـر وليهـا فتشـركه فـي مالـه ويعجبـه مالهـا وجمالها فيريـد وليها أن يتزوجها بغير أن يقسط فـي صداقها فيعطيها مثل ما يعطيها غيره فنهوا أن ينكحوهن إلا أن يقسطوا لهن ويبلغوا لهن أعلـي سـنتهن فـي الصـداق وأمـروا وأن ينكحوا ما طاب من النساء من سواهن " [3].فشريعة الإسلام أباحت للرجل أن يقترن بأربعة من النساء إن علم من نفسه القدرة علي العد ل بينهن وإلا فلا يجوز الاقتران بغير واحدة لقولـه سبحانه وتعـالي : **(فَـإِنْ خِفْـتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِـدَةً أَوْ مَـا مَلَكَـتْ أَيْمَـانُكُمْ ذَلِـكَ أَدْنَـى أَلَّا تَعُولُـوا)** [4] ، فإن الرجل إذا لـم يستطع إعطـاء كل منهن حقها أختل نظـام المنـزل وسـاءت معيشة العائلة إذ العماد القويم لتدبير المنزل هو بقاء الاتحاد والتآلف بين أفراد العائلـة . وقد كـان النبـي – ρ– وجماعـة مـن الصـحابة – رضـوان الله عليهم والخلفـاء الراشـدون والعلمـاء

([1]) سورة الروم ، آية (21) .

([2]) سورة النساء ، آية (3) .

([3]) أخرجه الإمام البخاري في كتاب التفسير باب قوله تعالي : " وإن خفتم ألا تقسطوا في اليتامي " ، سورة النساء ، آية (3) ، (جـ3 / 155) .

([4]) سورة النساء ، آية (3) .

الصالحون في كل قرن إلي هذا العهد يجمعون بين النسوة مع المحافظة علي حدود الله في العدل بينهن " [1].

فالعدل من حقوق الزوجية الواجبة علي الزوج شرعاً لا تفاوت ولا تهاون في أدائها فمن قصر أو مال إلي واحدة وأهمل الأخري فقد ارتكب إثماً وذنباً يحاسب عليه يوم القيامة . ويقول فضيلة الشيخ محمد رشيد رضا إن العدل فرض في البيتوتة وفي الملبوس والمأكول والصحبة فإذا لم يعدل رفع إلي القاضي ووجب نهيه وزجره فإن عاد عزر بالضرب لا بالحبس وما ذلك إلا محافظة علي المقصد الأصلي من الزواج وهو التعاون في المعيشة والسلوك فيها [2].

وأكدت السنة المطهرة علي إقامة العدل والقسمة بين الزوجات في حالة التعدد ومن هذه الأحاديث :

أ – ما روي عن أم المؤمنين عائشة – رضي الله عنها – قالت : " كان رسول الله – ρ– لا يفضل بعضاً علي بعض في القسم "[3] .

ب– عن أبي قلابة عن أنس –τ– ، قال : " من السنة إذا تزوج الرجل البكر علي الثيب أقام عندها سبعاً ثم قسم وإذا تزوج الثيب علي البكر أقام عندها ثلاثاً ثم قسم"[4].

ج – عن أنس – τ– قال : " كان للنبي تسع نسوة فكان إذا قسم بينهن لا ينتهي إلي المرأة الأولي إلا في تسع " [5].

([1]) تفسير المنار ، (جـ4 / 98) ، تفسير الإمام النسفي ، (جـ1 / 287) ، ما نصه : " فتمام العدل أن يسوي بينهن بالقسمة والتعهد والنظر والأقبال والمحالمة والمفاكهة .

([2]) تفسير المنار ، (جـ4 / 199) ، تفسير الكشاف للإمام الزمخشرى (جـ1/497).

([3]) سنن أبي داود كتاب النكاح باب القسم بين النساء ، (جـ2 / 135) .

([4]) أخرجه البخاري في كتاب النكاح باب إذا تزوج البكر علي الثيب ، (جـ3/ 368) .

([5]) أخرجه الإمام مسلم في كتاب الرضاع باب القسم بين الزوجات ، (جـ2 / 47) .

فهذه الأحاديث توجب إقامة العدالة بين النساء في حالة ارتباط الزوج بأكثر من واحدة ، لأن في إقامة العدالة تستقيم الأسر ويسودها المودة والرحمة والمحبة ويبعد عنها الشقاق والخصام وتقطيع الأرحام .

كما حذرت السنة النبوية من الميل والجور في حق إحدي الزوجات فعن أبي هريرة – τ– قال : " قال رسول الله – ρ– من كان له امرأتان يميل لإحداهما علي الأخري جاء يوم القيامة أحد شقيه مائل " [1].

وجاء الحديث في سنن أبي داود بلفظ عن أبي هريرة – τ– عن النبي–ρ– قال : " من كانت له امرأتان فمال إلي إحداهما جاء يوم القيامة وشقه مائل"[2].

وعن أم المؤمنين عائشة – رضي الله عنها – قالت : " كان رسول الله– ρ– يقسم فيعدل ويقول : اللهم هذا قسمي فيما أملك فلا تلمني فيما تملك ولا أملك"[3]. والمراد به هنا القلب .

فمفاد الآيات الكريمة والأحاديث الصحيحة سالفة الذكر توجب إقامة العدل الظاهري بين الزوجات والذي يتمثل في الإنفاق والإسكان والكسوة بنوعيها الشتوية والصيفية والمبيت ، أما الميل القلبي من المحبة والشهوة فهذا لا يملكه الرجل بل هو بين يدي الله – Y– يستحب فيه العدل لقوله تعالي : **(وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ)** [4].

([1]) أخرجه الإمام النسائي في كتاب عشرة النساء باب ميل الرجل إلي بعض نسائه ، (جـ1 / 657) .

([2]) أخرجه أبو داود فى كتاب النكاح باب القسم بين النساء (جـ242/2) .

([3]) المصدر السابق ، (جـ242/2).

([4]) سورة النساء ، آية (129) .

قال علماء التفسير إن الآية نزلت في عائشة – رضي الله عنها – لأن النبي– ρ– كان يحبها أكثر من غيرها "[1].

(فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمَيْلِ) أي فإذا ملتم إلي واحدة منهن فلا تبالغوا في الميل بالكلية .

(فَتَذَرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ) أي تبقي هذه الأخرى معلقة لا ذات زوج ولا مطلقة[2] .

(وَإِنْ تُصْلِحُوا) بينهن **(وَتَتَّقُوا)** الجور .

(فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا) يغفر لكم ميل قلوبكم ويرحمكم فلا يعاقبكم [3].

وأباحت الشريعة الإسلامية أن تهب إحدي الزوجات نوبتها إلي من شاءت من باقي الزوجات ، حيث ثبت في صحيح السنة أن السيدة سودة بنت زمعة وهي أم المؤمنين – رضي الله عنها – وهبت ليلتها إلي أم المؤمنين عائشة الصديقة بنت الصديق – رضي الله عنهما – فعن هشام عن أبيه عن عائشة أن سودة بنت زمعة وهبت يومها لعائشة – رضي الله عنها – فكان رسول الله – ρ– يقسم لعائشة بيومها ويوم سودة " [4]. كما أباحت الشريعة الإسلامية للزوجة أن تصالح زوجها إن رأت منه نشوزاً أو أعراضاً ، فعن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة – رضي الله عنها – قالت : عند تفسير قوله – Y– : **(وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ**

([1]) تفسير الإمام ابن كثير ، (جـ1 / 732) ، تفسير الإمام النسفي ، (جـ1 / 281) .

([2])تفسير الإمام ابن كثير ، (جـ1 / 732) .

([3]) الكشاف للإمام الزمخشرى (جـ1/568 – 569) .

([4]) أخرجه الإمام البخاري في كتاب النكاح ، باب المرأة تهب يومها من زوجها لضرتها وكيف يقسم ذلك ، (جـ3/ 368) .

خَيْرٌ) [1]. قالت هو الرجل يري من امرأته ما لا يعجبه كبراً أو غيره فيريد فراقها فتقول أمسكني وأقسم لي ما شئت " [2].

([1]) سورة النساء ، آية (128) .

([2]) أخرجه الإمام البخاري في كتاب الصلح ، باب قوله تعالي **(أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ)** ، سورة النساء آية (128) ، (جـ2 / 169) .

عدّالة الشهود في القرآن

تحدث القرآن الكريم في كثير من الآيات عن عدّالة الشهود وما ينبغي في أداء الشهادة من عدالة الشهود ، قال تعالي : **(وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِنْكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ)** [1]. لما يترتب على عدالة الشهود من حقوق – لله تبارك وتعالي – كإقامة الحدود والقصاص وحقوق العباد التي يتعامل الناس بها من بيع وشراء وقرض وصلح وخلافه ، وقد نهي – المولي – **Y**- . عن كتمان الشهادة في قوله تعالي : **(وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آَثِمٌ قَلْبُهُ)** [2].

فالشهادة أمانة يجب أداؤها عند طلبها كالوديعة وهي فرض كفاية إذا قام بها البعض سقطت عن الباقين . وتتعين عند وجود اثنين فقط ، لأن المقصود لايحصل إلا بهما[3].

وفي هذا البحث نوضح الضوابط الشرعية المعتبرة في أداء الشهادة ثم نبين عدالة الشهود التي وردت في القرآن الكريم من الإشهاد على الدين وعلى الوصية في السفر ، والاشهاد علي من قتل من صيد البر وهو محرم بحج أو عمرة والاشهاد علي الطلاق والرجعة .

المعتبر في عدالة الشهود يتمثل فيما يلي :

أولاً:- الإسلام : فلا تقبل شهادة الكافر ، قال تعالي : **(وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ)**[4] ، وقال تعالي : **(مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ)** [5] ، والكافر ليس بعدل ولا مرض ولا هو منا إلا أن

([1]) سورة الطلاق ، آية (2) .

([2]) سورة البقرة ، (283) .

([3]) سبل السلام للصنعاني ، (جـ266/4) . ويقول الشيخ علي الصابوني " إذا دعيتم إلي أداء الشهادة فلا تكتموها فإن كتمانها يجعل القلب آثماً وصاحبه فاجراً وخص القلب بالذكر لأنه سلطان الأعضاء إذا صلح صلح الجسد كله وإذا فسد فسد الجسد كله " . صفوة التفاسير ، (جـ1 / 179) .

([4]) سورة الطلاق ، آية (12) .

([5]) سورة البقرة ، آية (282) .

شهادة أهل الكتاب تقبل في الوصية في السفر إذا لم يكن غيرهم . ويقول ابن نجيم الحنفي ما نصه : " ولا تقبل شهادة كافر علي مسلم إلا تبعاً أو ضرورة " [1].

ثانياً:- العقل : فلا تقبل شهادة الطفل ، ولا المجنون ولا السكران .

ثالثاً:- البلوغ فلا يعتد بشهادة الصبي ، لقوله تعالي **(وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ)** [2] ، وقيل تقبل شهادة ابن العشر إذا كان عاقلاً لأنه يؤمر بالصلاة ويضرب عليها أشبه بالبالغ .

رابعاً:- اجتناب الكبائر واجتناب الادمان علي الصغائر ، فالعدالة المطلوبة في الشهادة محافظة دينية تحمل علي ملازمة التقوي والمروءة ليس معها بدعة . والشاهد هو من غلب خيره شره ولم يجرب عليه اعتياد الكذب [3] .

ويقول الإمام السيوطي : " إن اشتراط العدالة في صحة التصرف مصلحة لحصول الضبط بها من الخيانة والكذب والتقصير إذ الفاسق ليس له وازع ديني فلا يوثق به " [4] .

خامساً:- المروءة : فلا تقبل شهادة غير ذي المروءة كالمغني والرقاص والطفيلي والمتمسخر ، والذي ينام أو يبول علي قارعة الطريق .

سادساً:- الضبط فلا يعتد بشهادة من يعرف بكثرة الغلط والغفلة لأنه لا تحصل الثقة بقوله لاحتمال أن يكون من غلطه .

سابعاً:- النطق : فلا تقبل شهادة الأخرس بالإشارة لأنها محتملة فلا تقبل "[5] .

ما لا يعتد بشهادته :

ورد في القرآن الكريم وصحيح السنة أن الشهادة ترد بما يلي :

([1]) الأشباه والنظائر لابن نجم الحنفي ، ص 232 ، المكتبة التوفيقية ، الكافي في فقه الإمام أحمد (جـ4 / 347) .

([2]) سورة البقرة ، آية (282) .

([3]) سبل السلام للصنعاني (جـ4 / 226) ، تفسير الإمام النسفي (جـ1 / 156) .

([4]) الأشباه والنظائر في قواعد فروع الشافعية للإمام السيوطي (جـ2 / 604) .

([5]) الكافي في فقه الإمام أحمد (جـ4 / 347) .

أولاً:- المجلود في حد كحد القذف لأن المولي –Y– نهي عن قبول شهادته ، قال تعالي : **(وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ)** [1].

ثانياً:- شاهد الزور ، فقد ثبت في صحيح السنة عن أبي بكرة عن أبيه قال : قال النبي –ρ– : " ألا أنبئكم بأكبر الكبائر ثلاثاً قالوا : بلي يا رسول الله . قال الإشراك بالله وعقوق الوالدين وكان متكئاً فجلس فقال ألا وقول الزور . قال فما زال يكررها حتي قلنا ليته سكت "[2] ، والزور تحسين الشئء ووصفه بخلاف صفته حتي يخيل إلي من سمعه أو رأه أنه بخلاف ما هو به فهو تمويه الباطل بما يوهم أنه حق " [3].

وعن حبيب بن النعمان الأسدي عن خريم بن فاتك قال : " صلي رسول الله–ρ– صلاة الصبح فلما انصرف قام قائماً فقال : عُدلت شهادة الزور بالإشراك بالله " [4] ثلاث مرات ، ثم قرأ قوله تعالي : **(فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ حُنَفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ** به **)**[5] . فيشير الحديث أن شهادة الزور عديلاً للشرك أو مساوياً له . ومن صفات عباد الرحمن أنهم لا يشهدون الزور ، قال تعالي : **(وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا)**[6].

ثالثاً:- رد شهادة الخائن والخائنة وذي الغمر ، فعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن رسول الله – ρ– ردّ شهادة الخائن والخائنة وذي الغمر وشهادة القانع لأهل البيت وأجازها لغيرهم"[7].

([1]) سورة النور ، آية (4) .

([2]) أخرجه البخاري في كتاب الشهادات باب ما قبل في شهادة الزور (جـ2 / 155) .

([3]) سبل السلام للصنعاني (جـ 4 / 228) .

([4]) أخرجه أبو داود كتاب الأقضية باب فى شهادة الزور (جـ3/ 305 – 306).

([5]) سورة الحج ، آية (30) .

([6]) سورة الفرقان ، آية (72) .

([7]) أخرجه أبو داود فى كتاب الأقضية باب من ترد شهادته (جـ3 / 306) .

فالغمر هو الحقد والشحناء . والمراد بأخيه المشهود عليه . والكافر مثله لا يجوز أن يشهد ذو حقد عليه ، إذا كانت العداوة بسبب غير الدين ، والقانع هو الخادم لأهل البيت المنقطع إليهم بالخدمة وقضاء الحوائج ، أما شهادة القانع لغير من هو تابع لهم فجائزة " [1]. فالمسلمون عدول بعضهم علي بعض إلا مجرباً عليه شهادة زور أو مجلود في حد أو ظنينا في ولاء أو قرابة " [2] ، ولا تقبل شهادة من جر نفعاً بشهادته إلي نفسه كالوالد يشهد لولده أو الولد لوالده أو الغريم يشهد بمال المفلس .

رابعاً:- ألا يشهد علي شهادة جور : فعن النعمان بن بشير –رضي الله عنهما – قال : سألت أمي أبى بعض الموهبة لي من ماله ثم بداله فوهبها لى فقالت لا أرضي حتي تشهد النبي – ρ– فأخذ بيدي وأنا غلام فأتي بي النبي – ρ– فقال: إن أمه بنت رواحة سألتني بعض الموهبة لهذا فقال – ρ– ألك ولد سواه ؟ فقال: نعم ، قال : " لا تشهدني علي جور " [3].

وجاء في صحيح مسلم بلفظ عن النعمان بن بشير أن رسول الله – ρ– قال: " ألك بنون سواه " ؟ قال : نعم ، قال : فكلهم أعطيت مثل هذا . قال : لا . قال : فلا أشهد علي جور " [4].

([1]) سبل السلام للصنعاني ، (جـ226/4) ، أعلام الموقعين عن رب العالمين لابن قيم الجوزية ، (جـ89/1) .

([2]) بدائع الصنائع فى ترتيب الشرائع للإمام الكاسانى ، (جـ7 /9) ط دار الكتب العلمية (1986).

([3]) أخرجه الإمام البخاري في كتاب الشهادات ، باب لا يشهد علي شهادة جور إذا أشهد ، (جـ2 / 154) .

([4]) أخرجه الإمام مسلم في كتاب الهبات ، باب كراهية تفضيل بعض الأولاد في الهبة ، (جـ151/2) .

الإشهاد علي كتابة الدين :

بعد أمر المولي – Y– بتوثيق الدين بكتابته سواء كان صغيراً أم كبيراً أمر بزيادة هذا التوثيق بالاشهاد علي الكتابة حفظاً وصيانة للحقوق ومنعاُ للمنازعات والخصومات التي قد تنشأ بين المتعاملين ، قال تعالي : **(وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ)** [1] ، واطلبوا أن يشهد لكم شاهدان علي الدين من رجالكم المؤمنين[2].

(فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ) [3] ، فشهادة النساء مع الرجال عند جمهور الفقهاء من المالكية والشافعية والحنابلة تكون في الأموال وما يقصد به المال أما الحدود والقصاص والنكاح والطلاق فلا تقبل إلا شهادة الرجال [4].

وذهب الأحناف إلي جواز شهادة النساء مع الرجال في الأموال والطلاق والنكاح والرجعه والعتق إلا الحدود والقصاص [5] ، وذكر الإمام ابن كثير سبب ضعف شهادة الرجل بامرأتين فقال : " إنما أقيمت المرأتان مقام الرجل لنقصان عقل المرأة " [6] ، وثبت فى الصحيح عن عبدالله بن عمر – رضي الله عنهما – عن رسول الله – ρ– قال : " يا معشر النساء تصدقن وأكثرن من الاستغفار فإني رأيتكن أكثر أهل النار . فقالت امرأة منهن جزلة ومالنا يا رسول الله أكثر أهل النار ؟ . قال : " تكثرن اللعن وتكفرن العشير وما رأيت من ناقصات عقل ودين أغلب لذي لب منكن"، قالت : يا رسول الله ، وما نقصان العقل والدين ؟ قال رسول الله –

([1]) سورة البقرة ، آية (282) .

([2]) تفسير النسفي ، (جـ1 / 156) ، تفسير الإمام ابن كثير ، (جـ1 / 447) .

([3]) سورة البقرة ، آية (282) .

([4]) أحكام القرآن لابن العربي ، (جـ1 / 306) ، تفسير الإمام ابن كثير ، (جـ1/ 447) ، الرسالة للإمام الشافعي ، ص 385 –386 ، تحقيق : أحمد شاكر ، المكتبة العلمية ، بيروت ، لنان .

([5]) بدائع الصنائع (جـ81/7) يقول "اشترط فى الحدود والقصاص الذكورية والعدالة والأصالة فلا تقبل فيها شهادة النساء ولا شهادة الفساق ولا الشهادة على الشهادة لأن فى شهادة هؤلاء زيادة شبهة لا ضرورة إلى تحملها" ، تفسير الإمام النسفي ، (جـ156/1) ، ما نصه " وشهادة الرجال مع النساء تقبل فيما عدا الحدود والقصاص".

([6]) تفسير ابن كثير ، (جـ1 / 447) .

ρ- أما نقصان العقل فشهادة امرأتين تعدل شهادة رجل فهذا نقصان العقل وتمكث الليالي ما تصلي وتفطر في رمضان فهذا نقصان الدين " [1].

" أن تضل إحداهما فتذكر إحداهما الأخري "[2]، فيقول الإمام ابن العربي فيه تأويلاً وقراءتان . إحداهما : أن تجعلها ذكْراً . وهذه قراءة التخفيف . الثاني : أن تنبهها إذا غفلت وهي قراءة التثقيل . وهو التأويل الصحيح لأنه يعضده قوله تعالي : **(أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا)** ، والذي يصح أن يعقب الضلال والغفلة الذكر ويدخل التأويل الثاني في معناه[3]. فاعتبر العدد في شهادة النساء لما عسي أن تضل إحداهما فتذكر إحداهما الأخري: فهذا التوثيق الذي شرعه الموالي - Y- من كتابة الديون والإشهاد عليها يهدف إلي مقصد شرعي وهو المحافظة علي أموال الناس من الضياع والهلال ويمنع الخصومات والمنازعات التي قد تحدث بين المتعاملين، لأنها دونت وتم كتابتها والاشهاد عليها . وجاء قوله تعالي بعد الاشهاد: **(وَلَا يَأْبَ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا)**[4]، أي لا يمتنع الشهداء عن أداء الشهادة أو تحملها إذا طلب منهم ذلك [5].

ونهي المولي - Y - عن كتمان الشهادة وأن من يكتمها **فَقَدِ احْتَمَلَ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا** ، قال تعالي : **(وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آَثِمٌ قَلْبُهُ)**[6].

عدالة الشهود في حكم من قتل صيد البر وهو محرم :

جاء تحريم صيد البر لمن كان محرماً بحج أو عمرة في قوله تعالي : **(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ)** [7]، وقوله تعالي : **(وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ الْبَرِّ مَا دُمْتُمْ**

([1]) أخرجه الإمام مسلم في كتاب الإيمان ، باب نقصان الإيمان وبيان أطلاق لفظ الكفر علي غير الكفر بالله ككفر النعمان (جـ1 / 48) .

([2]) سورة البقرة ، آية (282) .

([3]) أحكام القرآن لابن العربي (جـ1 / 307) ، تفسير الإمام ابن كثير (جـ1 /447) ، تفسير آيات الأحكام للشيخ علي السايس ، (جـ1 / 164) .

([4]) سورة البقرة ، آية (282) .

([5]) تفسير الإمام ابن كثير (جـ1 / 447) ، تفسير ابن العربي (جـ1 / 308) ، حيث ذكر ثلاثة أقوال عند تفسير قوله تعالي : " **وَلَا يَأْبَ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا** " ، الأول : لا يأب الشهداء عن تحمل الشهادة إذا تحملوا . الثاني : لا يأب الشهداء عن الأداء ، الثالث : لا يأب الشهداء عنهما جميعاً .

([6]) سورة البقرة ، آية (283) .

([7])سورة المائدة ، آية (95) .

حُرُمًا)[1] ، وهذا النهي يتناول من حيث المعني المأكول وما يتولد منه ومن غيره . ولكن السنة المطهرة علي صاحبها أفضل الصلاة وأتم التسليم أباحت للمحرم قلت خمس من الفواسق . فعن عائشة – رضي الله عنها – أن رسول الله –ρ– قال : خمس من الدواب كلهن فاسق يقتهلن في الحرم الغراب والحدأة والعقرب والفأرة والكلب العقور " [2]. وفي رواية للإمام مسلم عن عائشة – رضي الله عنها – عن النبي – ρ– أنه قال : " خمس فواسق يقتلهن في الحل والحرم الحية والغراب الأبقع والفأرة والكلب العقور والحُديا " [3].

فيشر هذا الحديث إلي وجوب قتل هذه الفواسق الخمسة ، وهذا محل اتفاق بين الفقهاء ، إلا أن فقهاء الشافعية قالوا بجواز قتل ما لا يؤكل لحمه ولا فرق بين صغاره وكباره [4].

جـزاء من قتل صيد البرو وهو محرم :

قال تعالي : **(وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّدًا فَجَزَاءٌ مِثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ)** [5] ، والذي عليه جمهور الفقهاء أن العامد والناسي سواء في وجوب الجزاء عليه . ولكنهم اختلفوا في الجزاء . فعند جمهور الفقهاء من المالكية والشافعية والحنابلة أن الجزاء يتحقق بالمثل أي بمثل ما قتله المحرم إذا كان له مثل من الحيوان الأنسي .

ويقول الإمام ابن العربي في أحكام القرآن " ومثل الشئ حقيقته وهو شبهه في الخلقه الظاهرة ويكون مثله في معني وهو مجازه ، فإذا أطلق المثل اقتضي بظاهره حمله علي الشبه الصوري دون المعني لوجوب الإبتداء بالحقيقة في مطلق الألفاظ قبل المجاز حتي

([1])سورة المائدة ، آية (96) .

([2])أخرجه الإمام البخاري في كتاب الصيد ، باب ما يقتل المحرم من الدواب (جـ1/ 724) .

([3])أخرجه الإمام مسلم في كتاب الحج ، باب ما يندب للمحرم وغيره قتله من الدواب في الحل والحرم ، (جـ1/595) ، ويقول الإمام الخرشى يقتل فى الحل والحرم الفأرة والحية والعقرب والغراب والحديا (جـ2/366).

([4]) تفسير الإمام ابن كثير (جـ2 / 125) ، الأشباه والنظائر في قواعد وفروع الشافعية للإمام السيوطي ، ص (772) ، المغنى لأبى محمد بن عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامه (جـ3/341 – 342) ، تحقيق محمد خليل هراس ، مكتبة ابن تيمية .

([5]) سورة المائدة ، آية (95) .

يقتضي الدليل ما يقضي منه من صرفه عن حقيقته إلي مجازه ، فالواجب هو المثل الخلقي " [1]، أما عند أبي حنيفة – رحمه الله – فقال : " عليه جزاء يماثل ما قتل من الصيد ، وهو قيمة الصيد حيث صيد " [2].

وما قضي به صحابة رسول الله – ρ– وجب اتباعه لأن اجتهادهم أحق أن يتبع ، وقال ابن عباس إذا قتل المحرم ظبياً فعليه شاه تذبح بمكة فإن لم يجد فعليه صيام ثلاثة أيام فإن قتل إبلاً أو نحوه فعليه بقرة فإن لم يجد أطعم عشرين مسكيناً فإن لم يجد صام عشرين يوماً ، إن قتل نعامة أو حماراً فعليه بدنة من الإبل فإن لم يجد فإطعام ثلاثين مسكيناً فإن لم يجد فصيام ثلاثين يوماً [3].

عدالة الشاهدين :

أمر المولي – Y– بتحكيم شاهدين بالغين عاقلين فقيهين . قال تعالي : **(يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ)**[4] ، ويقول الإمام ابن العربي : " يقيم المتلف رجلين عدلين فقيهين بما يحتاج إليه في ذلك فينظران فيما أصاب ويحكمان عليه بما رأيا في ذلك فما حكما عليه لزمه " [5].

ويقول الإمام الخرشى : "إن جزاء الصيد لابد فيه من حكم الحكمين واشتراط العدالة يستلزم الحرية والبلوغ ومعرفة ما يحكم به"[6] .

([1]) أحكام القرآن لابن العربي ، (جـ162/2) ، بداية المجتهد لابن رشد ، (جـ1/ 633) ، تفسير الإمام ابن كثير ، (جـ2 / 126) ، الكافي في فقه الإمام أحمد بن حنبل ، (جـ1 / 429) ، ما نصه : الواجب في جزاء الصيد ما له مثل من النعم وهي بهيمة الأنعام فيجب فيه مثله للآية .

([2]) تفسير الإمام النسفي ، (جـ1 / 342) .

([3]) أحكام القرآن لابن العربي ، (جـ2 / 169) ، تفسير الإمام ابن كثير ، (جـ2 /128) ، تفسير آيات الأحكام للشيخ محمد علي السايس ، (جـ2 / 200) ، الكافي في فقه الإمام أحمد ، (جـ1 / 431) ، ما نصه : " ما لم تقض فيه الصحابة فيرجع إلي قول عدلين من أهل الخيرة " .

([4]) سورة المائدة ، آية (95) .

([5]) أحكام القرآن لابن العربي (جـ2 / 169– 170) .

([6]) الحرشى على مختصر خليل (جـ366/2) ، المغنى لابن قدامة (جـ511/5) .

فعلي الشاهدين الحكم بالعدل والقسط في مسألة قتل الصيد للمحرم ، فما كان له من مثل قضي بمثله . **(هَدْيًا بَالِغَ الْكَعْبَةِ)**[1] ، أي واصلاً إلي الكعبة يذبح هناك ويفرق لحمه علي مساكين الحرم . وهذا أمر متفق عليه في هذه الصورة"[2].

تقويم الصيد المقتول في حالة الإحرام :

يري فقهاء الحنفية أن الواجب هو قيمة الصيد حيث صيد فإذا بلغت قيمته ثمن هدي خير بين أن يهدي من النعم ما قيمته قيمة الصيد ، وبين أن يشتري بقيمته طعاماً فيعطي عن كل مسكين نصف صاع من بر أو صاعاً من غيره وإن شاء صام عن طعام كل مسكين يوماً [3] ، وعند المالكية : فقال الإمام مالك أحسن ما سمعت في الذي يقتل الصيد فيحكم عليه فيه أن يقوم الصيد الذي أصاب فينظركم ثمنه من الطعام فيطعم لكل مسكين مداً أو يصوم مكان كل مد يوماً [4].

ويري فقهاء الشافعية " أنه يتخير فى جزاء إتلاف الصيد المثلى بين ثلاثة أمور ذبح مثله والصدقة به على مساكين الحرم وبين أن يقوم المثل دراهم ويشترى به طعام لهم أو يصوم عن كل مد يوماً" وأن ما ليس بمثلي يتصدق بقيمته طعاماً أو يصوم عن كل مد يوماً فإن انكسر صام يوماً كاملاً " [5]. أما فقهاء الحنابلة فيرون أن من وجب عليه جزاء صيد فهو مخير بين إخراج المثل أو يقوم المثل ويشتري بقيمته طعاماً ويتصدق به أو يصوم عن كل مد يوماً " [6].

قيمة الصيد المتلف في الحرم أو الإحرام :

([1]) سورة المائدة ، آية (95) .

([2]) تفسير ابن كثير ، (جـ2 / 127) .

([3]) الكشاف للإمام الزمخشرى ، (جـ1 / 645/644) .

([4]) أحكام القرآن الكريم لابن العربي ،(جـ2 / 66) .

([5]) الأشباه والنظائر للإمام السيوطي ، ص 772 .

([6]) الكافي في فقه الإمام أحمد ، (جـ1 / 431– 432) ، المغنى لابن قدامه (جـ520/3) .

يعتبر بمحل الاتلاف وإلا فبمكة لأنه محل الذبح وكذلك في العدول إلي الطعام فيكون بسعره هناك [1]، أما مكان الهدي فلابد له من مكة للنص عليه في قوله تعالي : **(هَدْيًا بَالِغَ الْكَعْبَةِ)**[2] ، أما الإطعام ، فقيل يكون بمكة أو بموضع الإصابة والصوم يؤدي في أي وقت شاء فلم يختلف كسائر الكفارات "[3].

والوقت الذي تعتبر فيه قيمة المتلف فمختلف فيه ، فقيل : يوم الاتلاف ، وقيل يوم القضاء ، وقيل يلزم المتلف أكثر القيمتين من الاتلاف إلي يوم الحكم ، والصحيح أنه يلزم القيمة يوم الاتلاف "[4]. وتختم الآية الكريمة بقوله تعالي : **(عَفَا اللَّهُ عَمَّا سَلَفَ)** [5] ، من من قتل الصيد قبل التحريم " ومن عاد فينتقم الله منه " أي ومن عاد إلي قتل الصيد وهو محرم فينتقم الله منه في الآخرة . **(وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ)** أي غالب على أمره فينتقم ممن عصاه وجاوز حدود الإسلام " [6]. فيستفاد مما سبق أن للشاهدين مكانة قوية في تقويم الصيد المقتول للمحرم وأن حكمهما نافذ وملزم لقاتل الصيد فيختار واحداً مما حكما به ، كما أن العدالة في التقويم تتحقق بالمثل فيما يوجد له مثل ونظير فإذا لم يوجد المثل فيحكم بقيمته وتقدر هذه القيمة بطعام فيخرج لكل مسكين مداً أو يصوم عن كل مد بيوم .

عدالة الشهود في إثبات الوصية في السفر :

شرع المولي – Y– للمسافر في سفره إذا نزلت به علامات الموت أن يكتب وصيته ويشهد عليها شاهدين عدلين فقيهين عالمين ثبت صدقهما وأمانتهما ويسلم إليهما ماله ووصيته فيقومان بتسليمهما إلي ورثته وبذلك تحفظ الأموال من الضياع والهلاك وتصان الحقوق وترد إلي أصحابها وأربابها ، قال تعالي : **(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا شَهَادَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ اثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ أَوْ آَخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ إِنْ أَنْتُمْ ضَرَبْتُمْ**

([1]) الأشباه والنظائر للإمام السيوطي ، ص 772 .

([2]) سورة المائدة ، آية (95) .

([3]) أحكام القرآن لابن العربي ، (جـ2 / 172) الخرشى (جـ374/2) مغنى المحتاج (جـ529/1-5300) ، تفسير ابن كثير ، (جـ2 / 128) .

([4]) المرجع السابق ، (جـ2 / 172 9 ، الأشباه والنظائر للإمام السيوطي ، ص 634 .

([5]) المائدة ، آية (95) .

([6]) تفسير الإمام النسفي ، (جـ1 / 343) ، صفوة التفاسير ، (جـ1 / 365) .

فِي الْأَرْضِ فَأَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةُ الْمَوْتِ تَحْبِسُونَهُمَا مِنْ بَعْدِ الصَّلَاةِ فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ إِنِ ارْتَبْتُمْ لَا نَشْتَرِي بِهِ ثَمَنًا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى وَلَا نَكْتُمُ شَهَادَةَ اللَّهِ إِنَّا إِذًا لَمِنَ الْآثِمِينَ)[1] .

والآية الكريمة لها سبب نزول فعن ابن عباس – رضي الله عنهما – قال : " خرج رجل من بني سهم مع تميم الداري وعدي بن بدّاء فمات السهمي بأرض ليس بها مسلم فلما قدما بتركته فقدوا جاماً من فضة مخوصاً من ذهب فأحلفهما رسول الله –ρ–ثم وجد الجام بمكة فقالوا ابتعناه من تميم وعدي فقام رجلان من أوليائه فحلفا لشهادتنا أحق من شهادتهما[2]. وإن الجام لصاحبهم " [3] ، قال : وفيهم نزلت هذه الآية **(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا شَهَادَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ)**[4]، والآية وإن كان لها سبب نزول كما رأينا إلا أن حكمها عام فالعبرة فيها بعموم اللفظ لا بخصوص السبب **(ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ)** صفتان لاثنان يعني من أهل دينكم وملتكم يا معشر المؤمنين . واختلفوا في هذين الاثنين ، فقيل هما الشاهدان اللذن يشهدان علي وصية الموصي . وقيل هما الوصيان لأن الآية نزلت فيهما ، ولأن الله تعالي قال : **(فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ)** والشاهد لا يلزمه يمين ، فعلي هذا تكون الشهادة بمعني الحضور كقوله : "شهدت وصية فلان بمعني حضرت " [5].

" **أَوْ آخَرَانِ** " عطف على اثنان .

" **مِنْ غَيْرِكُمْ** " يعني من غير دينكم والضمير في منكم للمسلمين والمراد بقوله **(غَيْرِكُمْ)** الكفار وهو الأنسب بسياق الآية ، وهذا قول ابن عباس والشعبي وابن سيرين وبه قال الثوري وأبوعبيد وأحمد بن حنبل ، قالوا إذا لم يجد مسلمين يشهدان علي وصيته وهو في أرض

([1]) سورة المائدة ، آية (106) .

([2]) سورة المائدة ، آية (107) .

([3]) أخرجه الإمام البخاري في كتاب الوصايا ، باب قوله تعالي **(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا شَهَادَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ اثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ)** ، الآيات من (106– 108) ، سورة المائدة ، (جـ199/2).

([4]) سورة المائدة ، آية (106) .

([5]) تفسير الإمام ابن كثير ، (جـ2 / 141) ، تفسير أحكام القرآن لابن العربي ، (جـ2/ 213 – 214).

غربة فليشهد كافرين أو ذميين أو من أي دين كانا لأن هذا موضع ضرورة "[1]. وهذا ما رآه راجحاً لعدة دلائل :

أولاً:- نسق الآية الكريمة يقضى أن **(مِنْ غَيْرِكُمْ)** يشمل أهل الكتاب من اليهود والنصاري .

ثانياً:- أن الضرورة تقتضي إباحة الشهادة في مثل هذا الموضع وهو السفر حفاظاً علي حقوق الآخرين من الميراث وسداد الديون وإنفاذ الوصايا المتعلقة بهذا الميت.

ثالثاً:- أخذ رسول الله – ρ– بشهادة غير المسلم في الوصية في السفر كما سبق عند الحديث عن سبب نزول الآية الكريمة ، فشهادة غير المسلم عمل بها رسول الله – ρ – فكان بمثابة إذن منه لأمته – ρ– والمولي –Y– يقول **(لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ)**[2] ، وقال شريح : " من كان بأرض غربه لم يجد مسلماً يشهد وصيته فليشهد اثنين علي أن دين كانا من أهل الكتاب أو من عبدة الأصنام فشهادتهم جائزة في هذا الموضع " [3].

وفي حالة ارتياب الورثة من شهادة الذميين أو غير المسلمين وادعوا عليهم خيانة فالحكم أنكم " تحبسونهما من بعد الصلاة " [4] ، أي من بعد صلاتهم " فيقسمان بالله " ، أي يحلفان بالله " وقال الإمام الشافعي الإيمان تغلظ في الدماء والطلاق والعتاق والمال ، إذا بلغ مائتي درهم بالزمان والمكان " [5] ، **(إِنِ ارْتَبْتُمْ)** أي ظهر لكم منهما ريبة أنهما خانا أو غلا فيحلفان بالله **(لَا نَشْتَرِي بِهِ ثَمَنًا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى)** ، أي لا نعتاض عنه بعوض قليل في الدنيا الفانية والزائلة ، ولو كان المشهود عليه قريباً إلينا لا نحابيه"[6].

([1]) عون المعبود شرح سنن أبي داود ، (جـ6 / 440) .

([2]) سورة الأحزاب ، آية (21) .

([3]) عون المعبود شرح سنن أبي داود (جـ6 / 440) .

([4]) سورة المائدة ، آية (106) .

([5]) عون المعبود ، (جـ6 / 441) .

([6]) تفسير ابن كثير ، (جـ2 / 143) .

(وَلَا نَكْتُمُ شَهَادَةَ اللَّهِ) إضافهاإلي الله تشريفاً لها وتعظيماً لأمرها – أي الشهادة التي أمرنا الله بحفظها وتعظيمها "[1] ، أو تبديلها أو تغييرها " [2] ، فشرط لهذا الحلف شرطاً وهو قوله تعالي : **(إِنِ ارْتَبْتُمْ)** أي شككتم أيها الورثة في قول الشاهدين وصدقهما فحلفوهما وهذا إذا كانا كافرين ، أما إذا كانا مسلمين فلا يمين عليهما لأن تحليف الشاهد المسلم غير مشروع [3].

(فَإِنْ عُثِرَ) فإن اطلع **(عَلَى أَنَّهُمَا اسْتَحَقَّا إِثْمًا)** [4]، فعل ما أوجب إثما واستوجبا أن أن يقال إنهما لمن الآثمين **(فَآخَرَانِ)** فشاهدان آخران يقومان مقامهما **(مِنَ الَّذِينَ اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ)** أي من الذين استحق عليهم الإثم ، ومعناه من الذين جُني عليهم وهم أهل الميت وعشيرته ، وفي قصة بديل لما ظهرت خيانة الرجلين حلف رجلان من ورثته إنه إناء صاحبهما وإن شهادتهما أحق من شهادتهما .

(الْأَوَّلِينَ)الأحقان بالشهادة لقرابتهما أو معرفتهما **(فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ لَشَهَادَتُنَا أَحَقُّ مِنْ شَهَادَتِهِمَا)** أي ليمينا أحق بالقبول من يمين هذين الوصيين الخائنين .

(وَمَا اعْتَدَيْنَا) وما تجاوزنا الحق في يميننا **(إِنَّا إِذًا لَمِنَ الظَّالِمِينَ)** أي إن حلفنا كاذبين **(ذَلِكَ)** الذي مر ذكره من بيان الحكم **(أَدْنَى)** أقرب ، **(أَنْ يَأْتُوا)**أي الشهداء علي نحو تلك الحادثة .

(بِالشَّهَادَةِ عَلَى وَجْهِهَا) كما حملوها بلا خيانة . **(أَوْ يَخَافُوا أَنْ تُرَدَّ أَيْمَانٌ بَعْدَ أَيْمَانِهِمْ)** أي تكرر أيمان شهود آخرين بعد أيمانهم فيفتضحوا بظهور كذبهم.

(وَاتَّقُوا اللَّهَ) في الخيانة واليمين الكاذبة .

(وَاسْمَعُوا) سمع قبول وإجابة .

([1]) تفسير الإمام النسفي ، (جـ1 / 348) .
([2]) تفسير ابن كثير ، (جـ2 / 143) .
([3]) عون المعبود ، (ج6 / 440) .
([4]) سورة المائدة ، آية (107) .

(وَاللَّهُ لَا يَهْدِي) والله لا يهدي القوم الفاسقين . الخارجين عن الطاعة " [1].

عدالة الشهود علي الطلاق والرجعة :

أمر المولي – ρ– بالاشهاد علي الرجعة أو الطلاق في قوله تعالي : **(فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِنْكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ ذَلِكُمْ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآَخِرِ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا)**[2].

إذا شارفت المرأة المعتدة وقاربت علي انقضاء العدة فحينئذ إما أن يعزم الزوج إلي إمساكها ورجعتها إلي عصمة نكاحه والاستمرار بها علي ما كانت عنده **(بِمَعْرُوفٍ)** أي محسناً إليها في صحبتها . وإما أن يعزم علي مفارقتها بمعروف من غير مقابحة ولا مشاتمة ولا تعنيف ، بل يطلقها علي وجه جميل وسبيل حسن [3]".

(وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِنْكُمْ) .

وذهب البعض من الصحابة والتابعين إلي وجوب الاشهاد علي الرجعة أو الطلاق منهم عمران بن الحصين ومن التابعين عطاء .

واستدلوا علي وجوب الاستشهاد بما ورد في السنن عن مطرف بن عبدالله. أن عمران بن حُصين سُئل عن الرجل يطلق امرأته ثم يقع بها ولم يشهد علي طلاقها ولا علي رجعتها فقال : طلقت لغير سنه وراجعت لغير سنه وأشهد علي طلاقها وعلي رجعتها "[4].

وقال ابن جريح كان عطاء يقول : " لا يجوز نكاح ولا طلاق ولا إرجاع إلا شاهداً عدل "[5].

([1]) تفسير الإمام النسفي ، (جـ1 / 449) ، تفسير ابن كثير ، (جـ2 / 145) .

([2]) سورة الطلاق ، آية (2) .

([3]) تفسير ابن كثير ، (جـ 4 / 492) .

([4]) أخرجه أبو داود ، كتاب الطلاق ، باب الرجل يراجع ولا يشهد ، (جـ2 / 257) ، وأخرجه ابن ماجه في كتاب الطلاق باب الرجعة ، 210 .

([5]) تفسير ابن كثير ، (جـ2/ 492) ، فتح القدير (جـ441/5).

وذهب الأحناف والمالكية وإحدي الروايتين عند الشافعية والحنابلة ، إلي أن الاشهاد في الرجعة ليس للوجوب وإنما هو للندب لئلا يقع بينهما التجاحد يقول الإمام الزمخشرى عند تفسير قوله تعالي **(وَأَشْهِدُوا)** عند الرجعة والفرقة جميعاً وهذا الإشهاد مندوب إليه عند أبى حنيفة[1].

وقال الإمام الشافعي في القديم إلي وجوب الإشهاد في الرجعة كما يجب في ابتداء النكاح [2].

وفى الجديد لا يشترط الإشهاد فى الرجعة لأنها فى حكم استدامة النكاح السابق[3].

وأري أن الأمر في الآية للوجوب وليس للندب لأن الأمر تكرر في الآية مرتين الأولي في قوله تعالى : **(وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِنْكُمْ)** ، والأمر الثاني قوله تعالى : **(وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ)** فتكرار الأمر يدل علي الوجوب فضلاً من أن الشهادة تقضي علي المنازعات والخصومات والتباغض بينهما .

(وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ)لا تضيعوها ولا تغيروها وأتوا بها علي وجهها"[4]. ويقول الإمام الزمخشرى عند تفسيره قوله تعالي **(وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ)** لوجهه خالصاً، وأن تقيموها لا للمشهود له ولا للمشهود عليه ولا لغرض من الاغراض سوي إقامة الحق ودفع الضرر[5].

(ذَلِكُمْ) الحث علي إقامة الشهادة خالصة لوجه الله ولأجل القيام بالقسط ، **(يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآَخِرِ)**.

([1]) الكشاف (جـ119/4) ، أحكام القرآن لابن العربي ، (جـ4 / 275) . ما نصه " إن الرجعة لا تفتقر إلي الاشهاد كسائر الحقوق"، الخرشى (جـ87/4).

([2]) مغنى المحتاج ، (ج3 /336) .

([3]) مغنى المحتاج (جـ/336) .

([4]) أحكام القرآن لابن العربي ، (جـ4 / 275) .

([5]) الكشاف للإمام الزمخشرى ، (جـ4 / 119) ، تفسير الإمام ابن كثير (جـ4 / 492) ، تفسير أبو السعود (جـ733/5).

هذا الذي أمرناكم به من الإشهاد وإقامة الشهاد أن يأتمر به من كان يؤمن بالله واليوم الآخر وأنه شرع هذا لمن يخاف عقاب الله في الدار الآخرة [1].

([1]) تفسير الإمام ابن كثير (جـ4 / 492) ، فتح القدير للإمام الشوكانى (جـ241/5) ، تفسير الإمام النسفي ، (جـ2 / 695) ، صفو التفاسير للشيخ علي الصابوني ، (جـ3 / 399) .

عدالـــة الميـزان

المعني اللغوي لكلمة " وزن " :

وزن الشئ وزناً وزنة وقال الجوهرى : أصلة موزان انقلبت الواو ياء لكسر ما قبلها وجمعه موازين ، ويقال وزنت فلاناً ووزنت لفلان وهذا يزن درهماً ودورهم وازن ووازنت بين الشيئين موازنة ووزناً ، وهذا يوازن هذا إذا كان على زنته أو كان محازيه، ويقال للآلة التى يوزن بها الأشياء ميزان [1].

واصطلاحاً :

الميزان هو كل ما توزن به الأشياء وتعرف مقاديرها من ميزان وقرسطون ومكيال ومقياس خلقه الله موضوعاً علي الأرض علق به أحكام عباده من التسوية والتعديل في أخذهم وإعطائهم [2]، ، فالميزان نزل من عند المولي -Y- ليتعامل الناس فيما بينهم بالقسط ، قال تعالي : **(لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ)**[3] ، وروي أن جبريل -U- نزل بالميزان فدفعه إلي نوح وقال **(مر قومك يزنوا به)**[4] .

وقد سماه المولي -Y-(القسطاس) ، إذ يقول تبارك وتعالي في سورة الإسراء : **(وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ)**[5]، ويري الإمام ابن كثير أن المراد **(بِالْقِسْطَاسِ)** الميزان ، وقيل هو القبان ، الميزان ذو الذراع الطويلة . وقال مجاهد: هو العدل بالرومية . وقال قتادة **(الْقِسْطَاسِ)** العدل والمراد من قوله تعالي:**(الْمُسْتَقِيمِ)** الذي لا اعوجاج فيه ولا انحراف ولا اضطراب "[6].

([1]) لسان العرب لابن منظور مادة وزن (جـ447/13)

([2]) تفسير الإمام النسفي ، (جـ2 / 628) ، المفردات في غريب القرآن للأصفهاني ، ص 512 ، ما نصه: " والمتعارف في الوزن عند العامة ما يقدر بالقسط والقبان " .

([3]) سورة الحديد ، آية (25) .

([4]) تفسير الإمام النسفي ، (جـ2 / 651) .

([5]) سورة الإسراء ، آية (35) ، وسورة الشعراء ، آية (182).

([6]) تفسير الإمام ابن كثير ، (جـ3 / 435) ، تفسير الإمام النسفي ، (جـ1 / 712) .

عناية القرآن الكريم بالإيفاء بالكيل والميزان :

ورد في كثير من الآيات القرآنية قطعية الدلالة الأمر بإيفاء الكيل والميزان، بالقسط والعدل دون زيادة أو نقصان ، قال تعالي : **(وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا)** [1]. وقال تعالي علي لسان سيدنا شعيب υ آمراً قومه بإيفاء الكيل والميزان **(فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا)** [2]، وقال تعالي : **(أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ)** [3]، وقال تعالي في سورة الرحمن **(وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ ، أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ ، وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ)** [4] ، ويقول الإمام ابن كثير عند تفسيره لهذه الآيات خلق الله السموات والأرض بالحق والعدل لتكون الأشياء كلها بالحق والعدل . ولهذا قال تعالي : **(وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ)**[5] ، وكرر المولي –Y– لفظ الميزان تشديداً للتوصية به وتقوية للأمر باستعماله والحث عليه [6].

جزاء المطففين في المكيال والميزان :

أنزل المولي – Y– سورة المطففين وتوعد في مطلعها الذين يطففون في الميكال والميزان بالعذاب الشديد ، إذ يقول المولي – Y–(**وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ ، الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ . وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ)** [7].

([1]) سورة الأنعام ، آية (152) .

([2]) سورة الأعراف ، أية (58) .

([3]) سورة هود ، آية (85).

([4]) سورة الرحمن ، الآيات (7–9) .

([5]) تفسير ابن كثير (جـ4 / 347) ، صفوة التفاسير للشيخ الصابوني ، (جـ3 /598) .

([6]) تفسير الإمام النسفي ، (جـ2 / 627) .

([7]) سورة المطففين آية (1 – 3) .

وورد في سبب نزول الآية الكريمة عن ابن عباس – رضي الله عنهما – قال لما قدم رسول الله –ε–المدينة كانوا من أبخس الناس كيلاً فأنزل الله –Y– الآية فأحسنوا الكيل بعد ذلك [1].

وقال الإمام القرطبي كان بالمدينة تجار يطففون وكانت بياعاتهم كشبه القمار المنابذة والملامسة والمخاطرة فأنزل الله تعالي هذه الآية فخرج رسول الله –ε–في السوق وقرأها " [2].

والمراد بالتطفيف هو البخس في المكيال والميزان إما بالإزدياد إن اقتضي من الناس . وإما بالنقصان إن قضاهم "[3].

ويري شيخ الإسلام ابن تيمية أن العِدل في الأموال ينقسم إلي قسمين إما الظاهر فهو ما يعلم بالعقل كوجوب تسليم الثمن علي المشتري ، وتسليم المبيع علي البائع للمشتري ، وتحريم تطفيف المكيال والميزان ووجوب الصدق والبيان وتحريم الكذب والخيانة والغش . وأما الخفي فهو ما جاءت به الشرائع فعامة ما نهى عنه الكتاب والسنة من المعاملات يعود إلى تحقيق العدل والنهى عن الظلم دقه وجله مثل أكل المال بالباطل وجنسه من الربا والميسر . وأنواع الربا والميسر التي نهي عنها رسول الله –ε– مثل بيع الغرر وبيع حبل الحبلة ، وبيع الطير في الهواء والسمك في الماء والبيع إلي أجل غير مسمي وبيع المصراة ، وبيع المدلس، وبيع الثْمر قبل بدء صلاحه والملامسة والمنابذة ، والمزابنة والمحاقلة والنجش[4].

فمن خلال عرض هذه النصوص يتبين لنا ما يلي :

([1]) لباب النقول في أسباب النزول للإمام السيوطي ، ص 297 ، تفسير أبى السعود (جـ845/5).

([2]) أسباب النزول للواحدي ، ص 259 ما نصه : " قدم رسول الله –ε– المدينة وبها رجل يقال له أبو جهينة ومعه صاعان يكيل بأحدهما ويكتال بالآخر فأنزل الله تعالي هذه الآية ، تفسير النسفي ، (جـ784/2) .

([3]) تفسير الإمام ابن كثير (جـ4 / 633) ، تفسير الإمام النسفي (جـ2 / 584) .

([4]) شرح كتاب السياسة الشرعية لشيخ الإسلام ابن تيمية شرح الشيخ محمد صالح العثيمين ، تحقيق صلاح السعيد ، ص ص (425 –427) ، ط (2005م) .

أولاً:- إن جميع المعاملات التي شرعها المولي –Y– وبينتها السنة النبوية علي صاحبها أفضل الصلاة وأتم التسليم تهدف إلي تحقيق العدالة بين الناس جميعاً ، فصلاح الدنيا والآخرة لا يقوم إلا بالعدل .

ثانياً:- إن المطففين في المكيال والميزان لهم عذاب شديد في الآخرة فكل درهم أخذ بظلم وبدون وجه حق ، سيقتص لصاحبه يوم القيامة ، قال تعالي : **(وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ)**[1] .

ثالثاً:- إن المعاملات الفاسدة التي نهي الله – Y– عنها كالربا والميسر وما حرمتها السنة المطهرة سواء كان عن طريق جهالة المبيع قدره ووزنه وصفته أو الثمن أو البيع بالغرر كبيع مصراة الأنعام وكتمان العيوب في السلعة والتدليس وبيع النجش وبيع ما في ضروع الأنعام ترجع إلي تحقيق العدالة بين المتعاقدين وإزالة الظلم والخصومات والعداوات بين الناس في معاملاتهم

عذاب أمة شعيب U :

لقد عذب الله – Y– أمة من الأمم كانت تعتدي علي المكيال والميزان وتبخس الناس أشياءهم فأخذهم المولي – تبارك وتعالي– بعذاب أليم قال تعالي : **(وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا)**[2].

وقال تعالي : **(وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ وَلَا تَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِنِّي أَرَاكُمْ بِخَيْرٍ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُحِيطٍ وَيَا قَوْمِ**

([1]) سورة الأنبياء ، آية (47) .

([2]) سورة الأعراف ، آية (85) .

أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ) [1].

فيستفاد من الآيتين السابقتين ما يلي :

أولاً:- إن شعيباً دعا قومه إلي توحيد المولي – Ψ – ونبذ عبادة الأصنام التي عبدوها من دون الله فقال لهم يا قوم أعبدوا الله ما لكم من إله غيره .

ثانياً :- دعاهم إلي عدم نقصان المكيال والميزان حيث اشتهر قوم شعيب بهذه العادة الذميمة وهي تطفيف الكيل والميزان وبخس الناس أشياءهم فأمرهم بإتمام الكيل والميزان للناس بالحق والعدل .

ثالثاً:- بعد دعوة شعيب υ قومه بالتوحيد وإيفاء الكيل والميزان قابلوا دعوته بالجحود والنكران فقالوا علي سبيل الاستهزاء والسخرية : **(قَالُوا يَا شُعَيْبُ أَصَلَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ)**[2].

رابعاً:- جاء العقاب من السماء بعد أن رفض القوم التوحيد وإقامة العدل في الكيل والميزان ، قال تعالي : **(وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ)**[3] ، وقيل صاح فيهم جبريل عليه السلام صيحة فخرجت أرواحهم من أجسادهم فأصبحوا موتي هامدين لا حراك بهم " [4].

ويقول الإمام النسفي عند تفسير قوله تعالي : **(وَيَا قَوْمِ أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ)** [5] .

(وَيَا قَوْمِ أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ) أتموها .

([1]) سورة هود ، آية (84– 85) .

([2]) سورة هود ، آية (87) .

([3]) سورة هود ، آية (94) .

([4]) تفسير الإمام ابن كثير ، جـ2 / 571).

([5]) سورة هود ، آية (85) .

(بِالْقِسْطِ) بالعدل ، نهوا أولاً عن عين القبيح الذي كانوا عليه من نقص المكيال والميزان ثم ورد الأمر بالإيفاء علي وجه العدل والتسوية من غير زيادة ولا نقصان ".

(وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ) البخس النقص وكانوا ينقصون من أثمان ما يشترون من الأشياء فنهوا عن ذلك [1] ، ويقول فضيلة الشيخ محمود شلتوت : " الطمع في الأموال عن طريق الكيل والميزان علة قديمة مزمنة عرفها أرباب الطمع والشره منذ عرف الناس البيع والشراء وقد قص الله سبحانه وتعالي من أنباء الأمم أنه أهلك قوم شعيب بما تفشي فيهم من الظلم بأكل الأموال عن طريق التطفيف في الكيل والميزان وبخس الناس أشياءهم [2].

([1]) تفسير الإمام النسفي ، (جـ1 / 582) ، تفسير الإمام ابن كثير ، (جـ2 /571) ما نصه " نهاهم أولاً عن نقص المكيال والميزان إذا اعطوا الناس ثم أمرهم بوفاء الكيل والوزن بالقسط آخذين ومعطين ونهاهم عن العتو في الأرض بالفساد وكانوا يقطعون الطريق .

([2]) تفسير القرآن الكريم الأجزاء العشرة الأولي للإمام الأكبر محمود شلتوت ، ص (338– 339) ، ط دار الشروق ، (1982م) .

أهمية الميزان في حياتنا المعاصرة :

الميزان له أهمية بالغة في حياتنا فجل حاجات الناس تتحقق عن طريق البيع والشراء التي لا غنى للإنسان فيها عن الميزان . ومن أهمها ما يلي :

أولا : تحري الدقة في الوزن والكيل في عقد الصرف والسلم . فعن أبي سعيد الخدري – τ– أن رسول الله ρ قال " لا تبيعو الذهب بالذهب إلا مثلا بمثل ولا تشفوا بعضها علي بعض ولا تبيعو الورق بالورق إلا مثلا بمثل ولا تشفوا بعضها علي بعض ولا تبيعوا منها غائبا بناجز" [1] . وعن ابن عباس – رضى الله عنهما قال " قدم رسول الله – ρ – " المدينة والناس يسلفون فى الثمار العام والعامين فقال " رسول الله – ρ " "من سلف فى ثمر فليسلف فى كيل معلوم ووزن معلوم " [2]

ثانياً : معرفة أنصبة زكاة الفطر وزكاة الزروع والثمار وزكاة النقدين " الذهب والفضة" فنصاب زكاة الفطر قدره رسول الله – ρ– بصاع من تمر أو صاع من شعير . فعن عبدالله بن عمر – رضى الله عنهما – أن رسول الله – ρ – أمر بزكاة الفطر صاعا من تمر أو صاعاً من شعير . قال عبدالله رضى الله عنه فجعل الناس عدله مدين من حنطة . [3]

عن أبي سعيد الخدري– τ– قال : كنا نعطيها في زمان النبى – ρ – صاعا من طعام أو صاعا من تمر أو صاعا من شعير أو صاعا من زبيب فلما جاء معاوية وجاءت السمراء قال : أرى مدا من هذا يعدل مدين "[4] ونصاب زكاة الزروع والثمار" فعن أبى سعيد الخدرى– رضى الله عنه – قال رسول الله – ρ " ليس فيما دون خمسة أو ساق من ثمر ولا حب صدقة " [5] وأوضحت السنة المطهرة المقدار الواجب إخراجه فى زكاة الزروع والثمار . فقد روى عن سالم بن عبدالله عن أبيه – رضى الله عنهما – عن النبى – ρ قال : " فيما

---

(1) أخرجه الإمام البخارى من كتاب البيوع باب بيع الفضة بالفضة (جـ 34/2).

(2) أخرجه الإمام البخاري في كتاب السلم باب السلم في كيل معلوم (جـ 2 / 48) .

(3) أخرجه البخاري في كتاب الزكاة باب صدقة الفطر صاعا من تمر (جـ1 / 356).

(4) البخارى فى كتاب الزكاة باب صاع من زبيب (جـ 356/1).

(**5**) أخرجه الإمام مسلم فى كتاب الزكاة (جـ 473/1).

سقت السماء والعيون العشر وما سقى بالنضح نصف العشر "[1] وفى رواية للإمام مسلم عن جابر بن عبدالله – τ – أنه سمع النبى ρ يقول " فيما سقت الأنهار والغيم العشور وفيما سقى بالسانية نصف العشر" [2]

ونصاب زكاة الفضة : فعن أبى سعيد الخدرى – τ– قال " قال رسول الله – ρ " ليس فيما دون خمسه أواقٍ من الورق صدقة " [3] الأوقية أربعون درهما فالنصاب مائتا درهم . والدرهم يطلق على الخالص حقيقة – فإن كان مغشوشا لم تجب الزكاة حتى يبلغ من الخالص مائتى درهم " [4] ونصاب الذهب فتجب فى عشرين دينارا وزنا فقال الإمام مالك – رحمه الله تعالى – إن السنة التى لا اختلاف فيها عندنا أن تجب فى عشرين دينارا عينا كما تجب فى مائتى درهم [5] . ومن أهمية الميزان معرفة النصاب الذى فيه تقطع يد السارق فعن أم المؤمنين عائشة – τ – قالت :– قال رسول الله – ρ – تقطع اليد فى ربع دينار فصاعدا[6] وفي رواية للإمام مسلم عن عمرة عن عائشة قالت : كان رسول الله – ρ – يقطع يد السارق في ربع دينار فصاعدا " [7] .

(**1**) أخرجه الإمام البخارى فى كتاب الزكاة باب العشر فيما يسقى من ماء السماء وبالماء الجارى (جـ356/1).

(**2**) أخرجه الإمام مسلم فى كتاب الزكاة باب مافيه العشر أو نصف العشر (جـ474/1).

(**3**) أخرجه الإمام البخارى فى كتاب الزكاة باب مافيه العشر أو نصف العشر (جـ474/1).

(**4**) إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام للإمام ابن دقيق العيد ص (390).

(**5**) الموطأ للإمام مالك بن أنس (جـ218/1) , شرح فتح القدير للكمال بن الهمام (جـ215/2) ليس فيما دون عشرين مثقالا من الذهب صدقة فإذا كانت عشرين مثقالا ففيها مثقال , بداية المجتهد ونهاية المقتصد (جـ462/1).

(**6**) أخرجه الإمام البخاري في كتاب الحدود . باب قول الله تعالي ((والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما)) (جـ245/4) .

(**7**)أخرجه الإمام مسلم في كتاب الحدود باب قوله تعالي ((والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما)) (جـ245/4).

القســـــــــط

التعريف اللغوى لكلمة "القسط"

قسط فى أسماء الله الحسنى "المقسط" هو العادل ، يقال أقسط يقسط فهو مقسط إذا عدل وقسط يقسط فهو قاسط إذا جار فكأن الهمزة فى أقسط للسلب .

القسط : الميزان سمى به من القسط العدل والقسط : الحصة والنصيب يقال أخذ كل واحد من الشركاء قسطه أى حصته وتقسطوا الشئ بينهم : تقسموه على العدل والسواد والقسط بالكسر العدل"[1].

واصطلاحاً :

ورد في كثير من الآيات القرآنية آن معني القسط " العدل " بخلاف لفظ " القاسط " فهو الظالم المتجاوز للحد . فقال تعالي في سورة الجن " **وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا** "[2] ، فالقاسطون هم الجائرون عن طريق الحق الذى هو الإيمان بالله والطاعة[3].

ويقول الإمام ابن كثير " القاسط " هو الجائر عن الحق الناكب عنه بخلاف المقسط فإنه العادل " [4] وفي مفردات القرآن " قسط " القسط : هو النصيب بالعدل كالنصف والنصيفه والقسط هو ان يأخذ قسط غيره وهذا جور . والإقساط أن يعطي قسط غيره وذلك إنصاف ولذلك قيل : قسط الرجل إذا جار وأقسط إذا عدل.[5]

والذي معنا في البحث " القسط " الذي يرادف العدل . ونعرض ماورد في كتاب الله – Y – فيما يلي :

أولا : القضاء بالقسط في الآخرة قال تعالي " **وَنَضَعُ المَوَازِينَ القِسْطَ لِيَوْمِ القِيَامَةِ فَلاَ تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئاً** " [6] وقال تعالي " **فَإِذَا جَاءَ رَسُولُهُمْ قُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ**

([1]) لسان العرب لابن منظور مادة قسط (جـ377/7) .

([2]) سورة الجن آية (15) .

([3]) تفسير أبى السعود (جـ/779) .

([4]) تفسير الإمام ابن كثير جـ 2 /562 ، تفسير الإمام النسفي جـ 2 /736 ما نصه " ومنا القاسطون " الكافرون الجائرون عن طريق الحق وقسط : جار وأقسط عدل .

([5]) المفردات في غريب القرآن لأبي القاسم الحسن بن محمد المعروف بالراغب الاصفهاني ص 404 ط دار الخلود للتراث .

([6]) سورة الأنبياء آية (47) .

[1] وقال تعالي " **وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ** " [2] وقد جاء الأمر من المولي –Y– لعباده بالقسط في قوله تعالي :" **قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ** " [3] .

ثانيا : القسط في الحكم بين الناس : قال تعالي " **وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ** " [4] أي يحب العادلين [5] وجاء في الحديث الصحيح عن زهير –τ– قال : قال رسول الله –ρ– : " إن المقسطين عند الله علي منابر من نور عن يمين الرحمن وكلتا يديه يمين الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما ولوا" [6]

ثالثا : القسط في الشهادة بين المتخاصمين : مهما كانت صلة القرابة حتي علي النفس أو أقرب الأقارب كالوالدين والإخوة والأهل . قال تعالي : " **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَى بِهِمَا** " [7] وروي السدي قال : نزلت هذه الآية في النبي – ρ – اختصم إليه غني وفقير فكان – ρ– مع الفقير رأي أن الفقير لا يظلم الغني فأبي الله تعالي إلا أن يقوم بالقسط في الغني والفقير " [8] ويقول الامام النسفي عند تفسير قوله قوله تعالي : " **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ** " [9] أي مجتهدين في إقامة إقامة العدل حتي لا تجوروا " [10] .

رابعا : الأمر بالقسط في المكيال والميزان قال تعالي : **وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ** " [11] أي بالسوية والعدل .

([1]) سورة يونس آية (47) .

([2]) سورة يونس آية (54) .

([3]) الاعراف آية (29) .

([4]) المائدة آية (42) .

([5]) تفسير النسفي جـ 1 / 322 .

([6]) أخرجه الإمام مسلم في كتاب الأمارة باب فضل الإمام العادل جـ 2 / 279 .

([7]) سورة النساء آية (135) .

([8]) أسباب النزول للواحدي ص 102 ، لباب النقول في أسباب النزول للامام السيوطي ص 101 .

([9]) سورة النساء آية (135) .

([10]) تفسير الإمام النسفي جـ 1 / 128 .

([11]) سورة الأنعام آية (152) .

خامسا : القسط بالحق مع غير المسلمين : قال تعالي : " **لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ** " [1] . وثبت في الحديث الصحيح أن أسماء بنت أبي بكر الصديق – τ – قالت أتتني أمي راغبة في عهد النبي – ρ – فسألت النبي – ρ – آصلها ؟ قال : " نعم " قال ابن عيينة فأنزل الله تعالي فيها " **لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ** " [2] وفي رواية آخري عن هشام عن عروه عن أسماء قالت : قدمت أمي وهي مشركة في عهد قريش ومدتهم إذ عاهدوا النبي – ρ– مع ابنها فاستفتيت النبي – ρ – فقلت إن أمي قدمت وهي راغبة أفاصلها؟ قال : نعم صلي أمك " [3] . وبين وبين الإمام السيوطي سبب نزول الآية فعن عبد الله بين الزبير قال : قدمت قتيلة علي ابنتها أسماء بنت أبي بكر– τ – وكان أبو بكر طلقها في الجاهلية فقدمت علي بنتها بهدايا فأبت أسماء أن تقبل منها أو تدخلها منزلها حتي أرسلت إلي عائشة أن سلي عن هذا رسول الله– ρ – فأخبرته فأمرها أن تقبل هداياها وتدخلها منزلها " [4] فيستفاد من هذه الآية : أن شريعة الله – Y– قامت علي اساس العدالة بين الناس جميعا حتي مع غير المسلم حيث أمرت ببرهم ومودتهم وإقامة العدالة بينهم .

الصلح بين المتقاتلين المؤمنين بالقسط : قال تعالي : " **وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ** [5] "

وورد في نزول الآية الكريمة عدة روايات أصلها ما ورد في الصحيحين عن أنس – τ – قال قيل للنبي – ρ – لو أتيت عبدالله بن أبي فانطلق إليه النبي – ρ – وركب

([1]) الممتحنة آية (8) .

([2]) أخرجه البخاري في كتاب الآداب . باب صلة الوالد المشرك جـ 7 / 71 .

([3]) أخرجه البخاري في كتاب الأدب باب صلة المرأة أمها ولها زوج (جـ 4 / 71) ، وأخرجه الإمام مسلم في كتاب الزكاة باب فضل النفقة والصلة علي الأقربين والزوج والأولاد والوالدين ولو كانوا مشركين (جـ1 / 287) .

([4]) لباب النقول في أسباب النزول للإمام السيوطي ص (274) .

([5]) سورة الحجرات آية (9) .

حمارا فانطلق المسلمون يمشون معه وهي أرض سبخة فلما أتاه النبي- ρ- فقال : إليك عني والله لقد آذاني نتن حمارك فقال رجل من الانصار منهم والله لحمار رسول الله -ρ- أطيب ريحاً منك فغضب لعبد الله رجل من قومه فشتمه فغضب لكل واحد منهما أصحابه فكان بينهما ضرب بالجريد والأيدي والنعال فبلغنا أنها أنزلت وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فاصلحوا بينهما."[1]

وذكر سعيد بن جبير أن الأوس والخزرج كان بينهما قتال بالسعف والنعال فانزل الله تعالي هذه الآية فأمر بالصلح بينهما [2] وقال السدي كان رجل من الأنصار يقال له عمران تحته امرأة يقال لها أم زيد وإن المرأة أرادت أن تزور أهلها فحبسها زوجها وجعلها في عالية . وإن المرأة بعثت إلي أهلها فجاء قومها وأنزلوها لينطلقوا وكان الرجل قد خرج فاستعان بأهله فجاء بنو عمه ليحولوا بين المرأة وبين أهلها فتدافعوا واجتلدوا بالنعال فنزلت الآية [3] .

والآية الكريمة ، وإن كان لها سبب نزول فإن حكمها قائم في كل عصر إلي أن يرث الله الأرض ومن عليها ، فإن العبرة فيها بعموم اللفظ . وخاصة في هذا الزمان حيث كثر فيه القتال بين أبناء الأمة العربية والإسلامية .

فعلي ولاة الأمور تطبيق هذه الآية الكريمة بين الفئتين المتقاتلتين والعمل علي الاصلاح بينهما بالقسط . وتشير الآية الكريمة الي وجوب قتال الفئة الباغية حتي تعود إلي الحق والعدل . فقال تعالي : " **فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى** "

فالبغي الاستطالة والظلم وإباء الصلح . " **فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ** " ترجع الي الصلح وزوال الشحناء " [4] " **فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ**

([1]) أخرجه البخاري في كتاب الصلح باب ما جاء في الاصلاح بين الناس إذا تفاسدوا (جـ 2 /168) ، واخرجه الإمام مسلم في كتاب الجهاد والسير باب في دعاء النبي _ ρ _ إلي الله وصبره علي أذي المنافقين (جـ 2 / 259) .

([2]) تفسير ابن كثير (جـ 4 / 288) .

([3]) لباب المنقول في أسباب النزول للإمام السيوطي ص (255) .

([4]) سورة الحجرات ، آية (9) .

اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ " [1]، أي اعدوا بينهما فيما اصاب بعضهم لبعض بالقسط وهو العدل [2] .

وثبت في الصحيح عن زهير – τ – قال : قال رسول الله – ρ– " إن المقسطين عند الله علي منابر من نور عن يمين الرحمن وكلتا يديه يمين الذين يعدلوا في حكمهم وأهليهم وما ولوا " [3] .

فيشير هذا الحديث إلي مكانة ومنزلة العادلين المقسطين في حكمهم وبين ذويهم وما ولوا عليه من أمور المسلمين حيث أعد الله لهم مكانة عظيمة ونزلا كريما في جنة عرضها كعرض السماوات والأرض .

([1]) تفسير النسفي (جـ 2 / 584) .

([2]) تفسير ابن كثير (جـ 4/ 269) .

([3]) أخرجه الإمام مسلم في كتاب الإمارة باب فضيلة الامام العادل (جـ 2/ 279) .

الخاتمـــــــــــة

بعد الدراسة لألفاظ العدل الفقهية في القرآن الكريم يتبين لنا ما يلي :

أولا : أثبتت الدراسة أهمية كتابة الأموال عند التعامل بها نسيئة ، فهذا يحقق مقصدا شرعيا ألا وهو المحافظة علي أموال المتعاملين من الهلاك والضياع واشترطت الشريعة في كاتب الدين أن يكون عدلا فقيها له خبرة بدواعي الكتابة ، ومن أعلي درجات حفظ هذه الأموال أن المدين هو الذي يقوم بإملاء الكاتب هذه الديون ، لأنه المطالب بسدادها .

ثانيا : إن إقامة العدالة في الحكم والقضاء بين الناس جميعا يحقق المساواة بين أبناء المجتمع فالكل أمام القانون سواسية وهذا المبدأ طبقه صاحب الرسالة –ρ – حينما قال كلمته المشهورة " وأيم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها ".

ثالثا : إن إقامة العدالة بين الزوجات عند حالات التعدد والتي تتناول المسكن والمأكل والمبيت والكسوة ومصاريف العلاج ، تحقق هدفا منشودا ومقصدا من مقاصد التشريع الإسلامي ، وهو الترابط والتراحم والمودة بين أبناء الأسرة أما الميل القلبي فإن الله – Y– هو الذي يملكه . وهذا ما أشار إليه رسول الله – ρ – في قوله " اللهم هذا قسمي فيما أملك فلا تلمني فيما تملك ولا أملك " .

رابعا : إن عدالة الشهود التي وردت في القرآن الكريم تهدف الي مقاصد شرعية سامية غايتها المحافظة علي دماء الناس وأموالهم واعراضهم فلو أخذنا بقول الفاسق ومن لا يرجو للدين وقار لضاعت وهدرت حقوق الآخرين .

خامسا : إن إقامة الوزن بالقسط والعدل في المعاملات بين الناس يحقق هدفا شرعيا ألا وهو سلامة الأموال من الغش والتغرير والغبن ، وقد توعد المولي –Y– المطففين والغشاشين في الميزان والمكيال بالويل والعذاب الأليم فقال تعالي " ويل للمطففين الذين إذا اكتالوا علي الناس يستوفون وإذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون " [1]

سادسا : ورد لفظ القسط في كثير من الآيات القرآنية الكريمة بمعني العدل وجاء شاملا في شتي المعاملات فالقسط في الحكم بين الناس والقسط فى اداء الشهادة والقسط بين المتقاتلين من المسلمين والقسط بالحق والعدل بين أهل الكتاب ، والقسط في الكيل

([1]) سورة المطففين الآيات (1–3) .

والميزان والقسط يكون في الآخرة بين العباد وقد بشر رسول الله –ρ– بالثواب العظيم والجزاء الجميل للمقسطين من الناس في الأخرة . فقد ورد وثبت في الصحيح أن رسول الله _ ρ _ قال " إن المقسطين علي منابر من نور عن يمين الرحمن وكلتا يديه يمين الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما ولوا " وقد سبق تخريجه .

المصادر والمراجع

1- إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام لابن دقيق العيد تحقيق الشيخ احمد محمد شاكر . مكتبة السنة ، ط 1997 م .

2- أحكام القرآن لأبي بكر محمد بن عبدالله المعروف بابن العربي ط المنار 2002م.

3- أسباب النزول لأبي الحسن علي بن أحمد الواحدي تحقيق عبدالله المنشاوي ط دار المنار 2001 م .

4- الأشباه والنظائر علي مذهب أبي حنيفة النعمان لابن نجيم الحنفي تحقيق عادل سعد المكتبة التوفيقية .

5- الأشباه والنظائر في قواعد وفروع الشافعية للإمام جلال الدين السيوطي ط دار السلام 2006 م .

6- أصول الفقه للشيخ محمد الخضري ط دار الحديث .

7- أعلام الموقعين عند رب العالمين لابن قيم الجوزية . تحقيق محمد محي الدين عيد الحميد . الناشر مكتبة مصر .

8- بدائع الصنائع فى ترتيب الشرائع للإمام الكاسانى ، دار الكتب العلمية ، بيروت1986 .

9- بداية المجتهد ونهاية المقتصد لابن رشد القرطبي تحقيق عبدالحكيم بن محمد. المكتبة التوفيقية .

10-تفسير أبى السعود أو إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم ط دار الفكر.

11- تفسير القرآن العظيم لأبي الفداء عماد الدين ابن كثير طبعة جديدة منقحة مكتبة الإيمان 2006 م .

12- تفسير المنار للشيخ محمد رشيد رضا – الهيئة المصرية العامة للكتاب ط 1973.

13- الخرشى على مختصر خليل ط دار صادر .

14- الرسالة للإمام المطلبى محمد بن إدريس الشافعى تحقيق الشيخ أحمد محمد شاكر ، المكتبة العلمية ببيروت – لبنان .

15- سبل السلام شرح بلوغ المرام من جمع أدلة الاحكام محمد بن إسماعيل الصنعاني مكتبة الإيمان .

16- سنن ابن ماجه القزويني طبعة جديدة منقحه ترقيم محمد فؤاد عبدالباقي 2014م
17- سنن أبى داود ، تحقيق محمد محى الدين عبد الحميد ط دار الكتب العلمية .
18- سنن الترمذي لمحمد بن عيسي بن سورة الترمذي ط دار الفجر للتراث 2013م .
19- سنن النسائي أحمد بن شعيب بن علي النسائي ط دار الفجر للتراث 2010م.
20- السياسة الشرعية لشيخ الإسلام ابن تيمية شرح الشيخ محمد صالح العثيمين ط2004.
21 - صحيح البخاري لأبي عبدالله محمد بن اسماعيل بن ابراهيم . طبعة منقحه علي عدة نسخ ط المكتبة التوفيقية .
22- صحيح مسلم طبعه جديدة منقحة اعتني به محمد بن عبادي بن عبدالحكيم مكتبة الصفا . ط 2004 م .
23- صفوة التفاسير للشيخ محمد علي الصابوني ط دار الصابوني .
24 - عون المعبود شرح سنن أبي داود لأبي الطيب محمد شمس الحق العظيم أبادي ط دار الحديث القاهرة 2001 م .
25- فتح القدير الجامع بين فنى الرواية والدراية من علم التفسير لمحمد بن على محمد الشوكاتى ط الثانية 1964 .
26- فتح القدير للكمال بن الهمام الحنفي دار الفكر .
27- قواعد الأحكام في مصالح الأنام لأبي محمد عز الدين بن عبدالعزيز بن عبدالسلام ط البيان العربي 2002 م .
28- لباب التأويل فى معانى التنزيل لعلاء الدين على بن محمد بن إبراهيم البغدادى الشهير بالخازن ط الثانية 1955 مصطفى البابى الحلبى .
29- لباب النقول في أسباب النزول للإمام السيوطي مكتبة الصفا 2002 م .
30- لسان العرب للإمام جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور دار بيروت للطباعة والنشر 1956 .
31- القواعد الفقهية بين الأصالة والتوجيه . أ.د محمد بن اسماعيل دار المنار1997.
32 - الكافي في الفقه علي مذهب الإمام أحمد بن حنبل لموفق الدين بن قدامة المقدسى مكتبة ومطبعة دار إحياء الكتب العربية .
33- الكشاف للإمام الزمخشرى ط دار الفكر 1977 .

34 – المصباح المنير للإمام أحمد بن محمد بن علي الفيومي مكتبة لبنان ناشرون
35– المغنى لأبى محمد بن عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامه على مختصر الخرقى – مكتبة ابن تيميه .
36– مغنى المحتاج إلى معرفة معانى ألفاظ المنهاج محمد الشربيى الخطيب ط1958 .
37– المفردات في غريب القرآن للأصفهاني ط دار الخلود للتراث .
38– الموطأ للإمام مالك بن أنس ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي ، ط دار إحياء الكتب العربية فيصل عيسي البابي الحلبي .
39– الوجيز في أصول الفقه د / عبدالكريم زيدان ، ط دار التوزيع والنشر الاسلامية ط 1993 .